



## إرهاصات انتشار الإسلام في بُخَارَى في القرن الأول الهجري

أ.د/ محمد سيد كامل محمد<sup>(١)</sup>

### ملخص

تناقش هذه الورقة البحثية الخطوات الأولية التاريخية التي تمت في سبيل نشر الإسلام في بخارى، تلك البقعة البعيدة التي مثلت -مع الوقت- بقعة من بقاع الأراضي الإسلامية، والتي عرفت في مجال تخصصنا بكونها جزءاً من المشرق الإسلامي، ولا يظن القارئ أننا هنا بصدد الحديث عن فتوحات المسلمين ببخارى، وإن كانت المعارك العسكرية مثلت جزءاً من خلق بيئة حاضنة لنمو الإسلام بتلك البقاع. فنحن نتحدث عن السياسات المرسومة التي تبدو في ظاهرها بسيطة وتلقائية، وفي جوهرها عميقة وفاعلة؛ وذلك من أجل إيصال تعاليم الإسلام لتلك الأراضي بما يفند ما يدعيه المستشرقون أن الإسلام انتشر بحد السيف.

**الكلمات المفتاحية:** الإسلام، بخارى، المشرق الإسلامي، الفتوحات الإسلامية، الاستشراق.

---

<sup>(١)</sup> وكيلى كلية دار العلوم - جامعة المنيا - أستاذ بقسم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية.

---

## Abstract

### Signs of the spread of Islam in Bukhara in the first century AH

This research paper discusses the initial historical steps that were taken to spread Islam in Bukhara, That distant spot, which represented - over time - a part of the Islamic lands, Which is known in our field of specialization as being part of the Islamic Levant, The reader does not think that we are here talking about the Muslim conquests in Bukhara, Although the military battles represented part of creating an incubating environment for the growth of Islam in Bukhara. We are talking about established policies that seem simple and automatic on the surface. At its core, it is deep and effective, this is for Transfer Islamic teachings of those lands, What refutes what the orientalists claim Islam spread by the sword

**Key Words:** Islam, Bukhara, the Islamic East, Islamic conquests, Orientalism

تناقش هذه الورقة البحثية الخطوات الأولية التاريخية التي تمت في سبيل نشر الإسلام في بُخَارَى، تلك البقعة البعيدة التي مثلت -مع الوقت- بقعة من بقاع الأراضي الإسلامية، والتي عُرِفَتْ في مجال تخصصنا بكونها جزءاً من المشرق الإسلامي، ولا يظن القارئ أننا هنا بصدد الحديث عن فتوحات المسلمين ببُخَارَى، وإن كانت المعارك العسكرية مثلت جزء من خلق بيئة حاضنة لنمو الإسلام ببُخَارَى.

فنحن نتحدث عن السياسات المرسومة التي تبدو في ظاهرها بسيطة وتلقائية، وفي جوهرها عميقة وفاعلة؛ وذلك من أجل إيصال تعاليم الإسلام لتلك الأراضي، بما يفند ما يدعيه المستشرقون أن الإسلام انتشر بحد السيف، مستغلين توقف العديد من المؤرخين في تأريخهم عند حدود انتهاء المعارك العسكرية، ليس عن عجز عن الكتابة؛ بل لأنها طبيعة الكتابة السياسية التي تهتم بالأحداث الكبرى، لذا جاءت الكتابات الحضارية لتكمل هذا الجانب، إلا أن المستشرقين عملوا أثناء دراستهم لتاريخنا على الفصل -عمداً- بين الامتزاج السياسي والحضاري؛ ليصلوا إلى نتائج مشابهة لعبارتهم الشهيرة السابقة: انتشار الإسلام بحد السيف.

ومن هنا جاءت الورقة التي بين أيدينا لتناقش كيف تمكن قائد الفتح من الانتصار ليس في معركة السلاح فقط؛ بل في معركة الثقافة والهوية؟ وكيف وضع الأسس والسياسات التي أسهمت في دحر المجوسية والزرادشتية والمناوية وغيرها في تلك البقاع؟ وذلك عن طريق الترغيب والمؤاخاة والاحتكاك المباشر وغير المباشر مع أهالي بُخَارَى. والتي آتت أكلها بعد مقتل بسنين، وربما بقرون.

وما ترتب عليه بالتبعية تحول اللغة العربية حينذاك إلى اللغة الرسمية للبلاد، سواء للحكام أم للمحكومين، بدلاً من اللغات الفارسية والتركية واللهجات المحلية ببُخَارَى، التي أفرزت في النهاية تغيراً في التركيب الاجتماعي للمجتمع

البُخَارِي، وصل إلى إتقان عدد من أهل بُخَارَى للغة العَرَبِيَّة وآدابها والعلوم الإسلامية بفروعها في القرون التالية.

لذا قمت بتقسيم هذه الورقة البحثية إلى عدة محاور:

جاء في محورها الأول: نبذة عن معالم بُخَارَى الجغرافية، وذلك أن الجغرافية هي الوجه المقابل للتاريخ، الذي به يتم رسم رقعة الأحداث أمام قارئ التاريخ.

ثم جاء المحور الثاني: التسلسل التاريخي لعملية فتح بُخَارَى، التي اتسمت طوال عدة سنوات بكونها حملاتٍ خاطفة، لم يستقر فيها العَرَب في البلاد، ولم تخضع لهم فيها بُخَارَى وما وراء النَّهْر؛ بل كانت عمليات شد وجذب، تلا ذلك تغير سياسة المسلمين العَرَب العسكرية تجاه بُخَارَى، بقيادة قتبية بن مسلم الباهلي ومحاولاته فتح بُخَارَى التي تكلفت بالنجاح في المرة الرابعة.

ليبدأ المحور الثالث: السبل السياسية لنشر الإسلام بين أهالي بُخَارَى عقب الفتح.

ومن ثم المحور الرابع: النتائج المترتبة على إسلام أهل بُخَارَى؛ لبيان ما ترتب على المحور الرابع من آثار دينية واجتماعية وثقافية، أو فلنقل حضارية فرضت طبيعة الهوية العَرَبِيَّة الإسلامية على الهوية البُخَارِيَّة بالتدرج وليس بالقوة.

المحور الأول: نبذة عن معالم بُخَارَى الجغرافية:

لا يخفى على القارئ أن جغرافية بُخَارَى أضحت واضحة المعالم لدى العديد من المتخصصين، بل وربما أُقيمت المؤتمرات العلمية عن بلاد ما وراء النَّهْر وعن بُخَارَى تحديداً، إلا أنني لم أجد بُدأً من الإشارة إليها بشكل مختصر؛ وذلك من أجل اكتمال الصورة الذهنية للمطلع على هذه الدراسة، فمدينة بُخَارَى تقع في إقليم

الصُّغْدُ<sup>(١)</sup>، الذي يشمل الأراضي الخصبية فيما بين تَهْرِي جَيْحُون<sup>(٢)</sup> وسَيْحُون<sup>(٣)</sup>، ويسميتها الصَّيْنِيُّونَ باسم: نومي Numi<sup>(٤)</sup>، وهي كُورَة<sup>(٥)</sup> غير واسعة الرقعة، إلا أنها عامرة حسنة، يلتف على خمس مدن من مدنها حائط -سور- كبير، طوله اثنا عشر فَرْسَخًا<sup>(٦)</sup> في مثله، ليس فيه أرض قاحلة ولا ضيعة عطلّة -غير صالحة- اسم قَصَبْتُهَا نموذجت<sup>(٧)</sup>.

(١) بِلَاد الصُّغْدُ: وقد يقال بالسين مكان الصاد، وهي كُورَة عجيبة قَصَبْتُهَا سَمَرَقَنْدُ، وقيل إنها صُغْدَان صُغْد سَمَرَقَنْدُ وَصُغْد بُخَارَى، وهي كثيرة الأشجار والبساتين، جزيرة الأنهار، ويمكن القول إن إقليم الصُّغْدُ، وهو صُغْدِيَانَا Sogdiana القديمة، يشتمل على الأراضي الخصبية في ما بين تَهْرِي جَيْحُون وسَيْحُون، التي كانت تسقيها مياه تَهْرِي هما زرفشان أي تَهْر السِنْدُ، والتَهْر المنساب حيال مدينتي كَشْ وَنَسْف (ياقوت الحموي: مُعْجَم البلدان، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٩٥ م، ج ٣، ص ٤٠٩؛ كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٥٠٣).

(٢) تَهْر جَيْحُون: بالفتح وهو اسم أعجمي سُمي بذلك لاجتياحه الأرضين، واسم جَيْحُون بالفارسية هرون، وهو اسم وادي خِرَاسَان على وسط مدينة يقال لها جيهان (ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٦).

(٣) تَهْر سَيْحُون: تَهْر مشهور كبير بما وراء النَّهْر قرب خُجَنْد بعد سَمَرَقَنْدُ يجمد في الشتاء ثلاثة أشهر حتى تجوز على جمده القوافل، وهو في حدود بِلَاد التُّرْك (البَعْدَادِي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع"، وهو مختصر مُعْجَم البلدان لياقوت، ٣ أجزاء، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م، ج ٢، ص ٧٦٤).

(٤) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، هامش ص ٥٠٤.

(٥) الكُورَة: كلمة فارسية، استخدمها العَرَب، وهو كل صَقْع يشتمل على عدة قُرَى (أبو نعيم الأَصْبَهَانِي: تاريخ أَصْبَهَانَ المعروف بذكر أخبار أَصْبَهَانَ"، تحقيق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ج ١، ص ٣٣).

(٦) فَرْسَخ = ٣ ميل؛ ١٢ فَرْسَخ = ٣٦ ميل.

(٧) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ص ٢٦٦ - ٢٦٧؛ وتكتب نيمجكت أو بومجكت أو نوجمكت أو نمجكت أو بومسكت (النرخي: تاريخ بُخَارَى، هامش ص ٤١).

وتُعدُّ بُخَارَى من أعظم مدن ما وراء النَّهْر<sup>(١)</sup> وأجلّها، حيث يعبر إليها من آمل الشَّطِّ<sup>(٢)</sup>، ويُعدها النرشخي<sup>(٣)</sup> من جُملة مدن خُرَّاسَانَ<sup>(٤)</sup> وتَهْر جَيْحُونَ، يفصل بينهما، وهي في الإقليم الرابع، مدينة نزهة كثيرة البساتين فواكهها تُحمل منها إلى مَرُو Meru<sup>(٥)</sup> وإلى خُوَارِزَم<sup>(٦)</sup>.

(١) ما وراء النَّهْر: يراد بها ما وراء تَهْر جَيْحُونَ بخُرَّاسَانَ، فما كان في شرقيّه يقال لها بلاد الهياطلة، وفي الإسلام سمّوه ما وراء النَّهْر، وما كان في غربيّه فهو خُرَّاسَانَ وولاية خُوَارِزَم، وليس بما وراء النَّهْر موضع يخلو من العمارة، من مَدِينَة أو قَرْى أو زرع أو مرعى (ابن سباهي زاده: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك"، تحقيق المهدي عيد الرواضية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ص ٥٧٦ - ٥٧٧).

(٢) آمل الشَّطِّ: مدينة في غربي جَيْحُونَ في سَمْت بُخَارَى عن تَهْر جَيْحُونَ نحو ميل، بعضهم يسميها أمو اختصارًا ويضاف فيقال أمل زم وآمل الشَّطِّ وآمل جَيْحُونَ كلها واحدة (ابن سباهي زاده: المصدر السابق، ص ١٢٤).

(٣) تاريخ بُخَارَى: عربه عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطَّرازي، الطبعة الثالثة، سلسلة ذخائر العرب (٤٠)، دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٩٩٣م، ص ٢٧.

(٤) خُرَّاسَانَ: كانت تضم كل بلاد ما وراء النَّهْر التي في الشَّمال الشرقي، ما عدا سِجِسْتَانَ وقوهستان في الجنُوب، وحدودها الخارجية صحراء الصَّين والباير من ناحية آسيا الوسطى، وجبال هندكوش من ناحية الهنْد، ثم صارت لا تمتد أبعد من حدود تَهْر جَيْحُونَ في الشَّمال الشرقي، ويضم إقليم خُرَّاسَانَ أربع مناطق رئيسة هي: نَيْسَابُور ومَرُو وهَرَاة وبلخ (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشَّرقية، ص ٤٢٣ - ٤٢٤).

(٥) مَرُو: مدينة مشهورة بفارس، والمَرُو بالفارسية هو المرج (البكري: مُعْجَم ما استعْجَم في أسماء البلاد والمواضع، حققه وضبطه مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، مطبعة عالم الكتب، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ٤، ص ١٢١٦).

(٦) ياقوت الحموي: مُعْجَم البلدان، ج ١، ص ٣٥٣؛ خُوَارِزَم: اسم الإقليم كله، وهي منقطع عن خُرَّاسَانَ وعن ما وراء النَّهْر، وتحيط به المفاوز - جمع المفازة - من كل جانب، وحده متصل بحدِّ العُزْبِيَّة فيما يلي الشَّمال والغرب، وجنوبيّه وشرقيّه خُرَّاسَانَ وما وراء النَّهْر، وخُوَارِزَم ناحية عريضة وأعمال واسعة ومدن كثيرة، وهي آخر جَيْحُونَ ومن أهم مدنها مدينة =

ويصف الثعالبي<sup>(١)</sup> بُخَارَى: "بأنها بمثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر"، كما أثنى عليها القلقشندي<sup>(٢)</sup> بقوله إنها: "أم الأقاليم ويُمُّ التقاسيم".

وقد أُطلق على مدينة بُخَارَى عدة أسماء، حيث ذُكرت باسم: نيمجكت، وكذلك أُطلق عليها: بومسكت، وقد كتبت في مكان آخر بالعربية: بالمدينة الصُفْرية (شارستان رويين)، وفي موضع آخر: مدينة التجار (شهر بازركانان)<sup>(٣)</sup>، وقد أشار كي لسترنج<sup>(٤)</sup> إلى أن بُخَارَى يقال لها: نوجمكت.

وبُخَارَى مدينة على أرض مستوية وبنائها خشب مشبك، ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحال والسكك المفترشة والقُرى المتصلة سور<sup>(٥)</sup>. وتحتوي بُخَارَى على عدد من القُرى يربو عن ستة عشر ألف قرية<sup>(٦)</sup>.

كما اشتهرت بُخَارَى بكثرة مدنها العامرة، ومن أهم مدنها: بِيكَنْد<sup>(٧)</sup>

=الجُرْجَانِيَّة، ومنها تخرج القوافل التجارية إلى جُرْجَان (ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م، ص ٣٩٥).

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، المجلد الرابع، ص ١١٥.

(٢) صُبْح الأَعْسَى، تقديم فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (١٣٣)، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤م، ج ٤، ص ٤٣٤.

(٣) النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٤١.

(٤) بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٤.

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٨.

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٦٨.

(٧) مدينة بِيكَنْد: بلدة بين بُخَارَى وَتَهْر جِيْحُون على بعد مرحلة، كثيرة العلماء، بها كثير من الرباطات أكثر من ألف رباط، ولها سور حصين، ومسجد جامع (ياقوت الحموي: مُعْجَم البلدان، ج ١، ص ٥٣٣).

وزَنْدَنَّهُ<sup>(١)</sup> وكرمينة<sup>(٢)</sup>، وغيرهم.

وقد قال بعض الجغرافيين والرحالة<sup>(٣)</sup> عن بُخَارَى: "نزهة بلاد ما وراء النَّهْر، فإني لم أر ولا بلغني في الإسلام بلدًا أحسن خارجًا من بُخَارَى، لأنك إذا عَلَوْتَ قَهْنْدَزُ هَار -قلعتها- لم يقع بصرك من جميع النواحي إلا على خضرة متصلة خُضِرَتْهَا بخضرة السماء، فكأنَّ السماء بها مكبَّة خضراء مكبوبة على بساط أخضر تَلُوْحُ القصورُ فيما بينها كالنَّوَاوِير فيها، وأراضي ضياعهم منعوتة بالاستواء كالمرآة. وليس بها وراء النَّهْر وخُرَاسَانَ بلدة في المساحة، وذلك مخصوص بهذه البلدة؛ لأن متنزهاة الدنيا صُغْدُ سَمَرْقَنْد<sup>(٤)</sup> ونَهْر الأُبُلَّة<sup>(٥)</sup>."

أما مدينة بُخَارَى نفسها، فلها في خارج السور إلى شماله الغربي، قهندز متصل بها، "وهو في مقدار مدينة صغيرة. وفيه مساكن الولاة والحبس والخزانة". وفي خارج المَدِينَةِ وحولها، أرباض واسعة تمتد حتى عمود النَّهْر وتحفُ بصفته الجَنُوبِيَّة. ومن أجَلِّها الأرباض التي في شرقها، وهي: درب النوبهار ودرب سَمَرْقَنْد ودرب الراميشنة وغيرها من الدروب.... ولسور المَدِينَةِ سبعة أبواب: باب

(١) زَنْدَنَّهُ: بها حصن كبير وأسواق كثيرة ومسجد جامع، وما ينتج بها يقال له: الزنديجي (النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٣١).

(٢) كرمينة: من رساتيق بُخَارَى وماؤها من ماء بُخَارَى وخارجها من خراج بُخَارَى، بها مسجد جامع، وسميت كرمينة قديماً: "بادية خردك"، والمسافة بين كرمينة وبُخَارَى أربعة عشر فَرَسَخًا (النرشخي: المصدر السابق، ص ٢٧).

(٣) ياقوت الحموي: مُعْجَم البلدان، ج ١، ص ٣٥٣؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩١.  
(٤) سَمَرْقَنْد: بلد معروف مشهور وهي قصبَة الصُّغْدُ على جنوبي وادي الصُّغْدُ، وهي مدينة لها اثنا عشر بابًا بين كل بابين فَرَسَخ، وهي من حديد، وداخلها مدينة أخرى لها أربعة أبواب (البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٧٣٦).

(٥) الأُبُلَّة: مدينة صغيرة حصينة عامرة من الإقليم الثالث، من العِراق، على فوهة نَهْرها من دجلة (ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص ١٢٧).



المُدِينَة، وباب نور (أو نوز)، وباب حفره، وباب الحديد، وباب القهندز، وباب مهر، وباب بني أسد وآخرها باب يُعرف ببني سعد<sup>(١)</sup>.

قطن بُخَارَى عند قدوم الفاتحين العَرَب عناصر سكانية متعددة تُركية وإِيرَانِيَة -فَارِسِيَة - وصِيْنِيَة ومَغُولِيَة، وقد غلب العنصر التُّركي فيها إلا أن الطابع الفَارِسِي ظل سائدًا رغم التمرکز التُّركي المستبد بتلك النواحي حينذاك<sup>(٢)</sup>. وبهذا نكون قد أبرزنا خريطة مصغرة لبعض المعالم الجغرافية لمدينة بُخَارَى، إبان بدايات محاولات الفتح العَرَبِي لها.

### ثانيًا: التسلسل التاريخي لعملية فتح بُخَارَى:

تعددت حملات العَرَب علي بُخَارَى لفتحها، وكانت معظمها حملات خاطفة، لم يستقر فيها العَرَب في البلاد، ولم تخضع لهم بُخَارَى، بل كان معظمها عبارة عن إنزال الهزيمة بأهلها، ثم طلب الصلح والأمان، والإقرار بدفع الجزية للعَرَب، يلي ذلك انتفاض ضد العَرَب. ولعل الصواب لا يجانبنا إذا قلنا إن نجاح هذه الحملات في النهاية يُعد من العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في بُخَارَى؛ ليس بحُد السيف ولكن عن طريق خلق بيئة آمنة للدعاة؛ إذ إن وجود قوة عسكرية أموية آنذاك أسهمت بلا شك في منع عودة القوى القديمة والخارجية أو استعادة الأراضي المفتوحة، مما وفر بيئة إسلامية حاضنة لأهل بُخَارَى ريثما تغلغل الإسلام إلى قلوبهم.

وقد أعقب فتح بلاد العِرَاق والحِيرة، وبلاد الشام اتجاه العَرَب ناحية المشرق، إبان عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م)،

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٩؛ كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٤.

(٢) محمد أحمد محمد بدوي: بُخَارَى في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دار الفكر العَرَبِي، القاهرة- مصر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ١٣.

فأزالوا مُلْك الأكَاسرة الفُرْس، وقضوا على آخر ملوكهم: يَزْدَجِرْدُ بن شهريار<sup>(١)</sup>، وتعبه القادة الفاتحون داخل عدة مدن ضمن مملكته، إلى أن قُتِل بِمَرُو الشَّاهِجَان<sup>(٢)</sup>، وبذلك وطد العَرَب سلطتهم ومُلْكهم في إقليميّ فَارِس وخرَاسَان بداية من سنة ١١٨هـ / ٦٣٩م، وقيل منذ ٢٢هـ / ٦٤٣م، إلا أنهم فوجئوا بعد انتصارهم على خطر الفُرْسِ بخطر جديد، ألا وهو: خطر التُّرْك، الذين تواجدوا خلف خطوط الفُرْسِ وشاهدوا قتال العَرَب مع الملك يَزْدَجِرْدُ، وبعد أن أنهى الفاتحون العَرَب عملياتهم العسكرية في خراسان بنجاح<sup>(٣)</sup>. اضطروا طوال المرحلة

(١) يَزْدَجِرْدُ بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان: هو آخر ملوك الفُرْس العجم، الذي جلس على العرش في عُمر الخامسة عشر، بعد تولي أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة بـ ٢٢ يوماً، ولمَّا تولى عمر بن الخطاب ﷺ الخلافة، أرسل الجيوش المتوالية للعراق ولفارس، وعندما تمكن العَرَب من فتح بلاد العراق؛ فر الملك يَزْدَجِرْدُ إلى عدة مدن بخراسان حتى بلغ مدينة بلخ عبر نهرها واستعادها مؤقتاً من المسلمين بمساعدة خاقان ملك التُّرْك، واستمر الصراع طويلاً بين يَزْدَجِرْدُ وقادة العَرَب حتى تم قتله وقد انتهت حياته في حدود ٣١هـ / ٦٥١م (الكرديزي: زين الأخبار" ترجمة عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٦م، ص ٩٠؛ براون، إدوارد جرانفيل: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة إلى الفارسية علي باشا صالح، ترجمة إلى العربية أحمد كمال الدين حلمي، تقديم محمد علاء الدين منصور، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٥م، ج ١، ق ١، ص ٣٠١؛ محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر"، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، دار الأندلس الخضراء، جدة- المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ٧٨-٧٩).

(٢) القلقشندي: صُبْح الأعشى، ص ٣٩٥؛ مَرُو الشَّاهِجَان: ومعنى الاسم رُوح الملك، تقع في الإقليم الرابع، مدينة قديمة في أرض مستوية بعيدة عن الجبال، والنسبة إليها مَرُوَزِيٌّ، بها قُتِل يَزْدَجِرْدُ آخر ملوك الفُرْس، ومنها ظهرت دولة بني العباس، وبها صُبغ أول سواد لبسته المسوَّدة، بينها وبين بُخَارَى وَنَيْسَابُور وهَرَاة وبلخ مسيرة اثني عشر يوماً (القلقشندي: المصدر السابق، ص ٣٩٤-٣٩٥).

(٣) محمد أحمد محمد بديوي: بُخَارَى في صدر الإسلام، ص ٣٤؛ محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٧٨.

الزمنية التالية بالالتزام بسياسة الدفاع المُركز حول منطقة خُرَاسَانَ ضد خطر التُّرك؛ فنظموها تنظيمًا ثغريًا، باعتبارها ثغراً من ثغور المسلمين، وظلت خُرَاسَانَ خاضعة لهذا التنظيم الثغري - في أوسع الأقوال - حوالي خمسين عام فيما بين ٣١-٥٨٦هـ / ٦٥١-٧٠٥م<sup>(١)</sup>.

واستمرت أوضاع العَرَب في خُرَاسَانَ فلم يتجاوزوا نَهْر جِيحُونَ حتى وصلت الخلافة الإسلامية إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان ؓ (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٨٠م)، الذي بادر بإرسال القائد: عُبَيْدُ اللَّهِ بن زياد بن أبيه في ٥٤هـ / ٦٧٤م<sup>(٢)</sup> في أولى المحاولات العسكرية لفتح بُخَارَى؛ لذا يُعدُّ القائد: عُبَيْدُ اللَّهِ بن زياد أول مسلم قطع على الإبل جبال بُخَارَى في جيش، وقد بلغ مجموع ما أقامه بأرض خُرَاسَانَ سنتين<sup>(٣)</sup>.

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العَرَبِي والتُّركي، تقديم محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٧٢م، ص ١٣٨.

(٢) ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى، دار الأضواء، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ج ٤، ص ٣٠٥-٣٠٧؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المُسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العَرَب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، ضبط المتن ووضح الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج ٣، ص ١٨؛ عبيد الله بن زياد بن أبيه: (٢٨-٦٧هـ / ٦٤٨-٦٨٦م) وال فاتح، ولد بالبَصْرَة، وكان مع والده لما مات بالعِرَاق، فقصد الشَّام، فولاه عمه معاوية ؓ خُرَاسَانَ سنة ٥٤هـ / ٦٧٤م، فتوجه إليها وقطع النَّهْر إلى جبال بُخَارَى على الإبل، ففتح رامثين ونصف بِيكَنْد، وأقام بخُرَاسَانَ سنتين. ثم نقله معاوية ؓ إلى البَصْرَة أميرًا عليها؛ فقاتل الخوارج. وأقره يزيد على إمارته سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م، فكانت الفاجعة بمقتل الحسين ؓ على يده. ولما مات يزيد سنة ٦٥هـ / ٦٨٣م بايع أهل البَصْرَة لعبيد الله ثم ما لبثوا أن وثبوا عليه، فهرب إلى الشَّام، ثم عاد إلى العِرَاق فلحق به إبراهيم بن الأَشْر في جيش يطلب ثأر الحسين، فاقتلوا فقتله ابن الأَشْر في أرض المُوَصِّل، وكان أعداؤه يدعون ابن مرجانة نسبة إلى أمه (خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ١٩٣).

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العَرَبِي، بيروت- لبنان، ٢٠١٢م، ج ٣، أحداث سنة ٥٤هـ، ص ٩٣.

ومن هذا التاريخ، بدأت خُرَاسَان تلعب دورها في فتح بلاد ما وراء النهر، فكانت خُرَاسَان قاعدة تخرج منها غزوات خاطفة في موسم الصيف، ثم تعود إلى القاعدة الرئيسية في موسم الشتاء<sup>(١)</sup>.

وبالتالي بدأ تصدي أهل بُخَارَى لمحاولات العرب فتح بلادهم، وكان على رأس حكم بُخَارَى سيدة تُسَمَّى: الخاتون زوجة بيدون -نائبة عن ابنها الصغير المُسَمَّى: طغشادة- التي استنجدت بمن جاورها من حكام التُّرك والعجم؛ فاجتمع إليها أعداد كبيرة منهم، وبالمقابل عمل القائد العربي: عُبيد الله بن زياد على إنزال الهزيمة بتلك القوات، وسبى عددًا كبيرًا منهم يربوا عن الأربعة آلاف جندي<sup>(٢)</sup>؛ ومن ثم فقد اضطرت الخاتون إلى طلب الصلح؛ فصالحها عُبيد الله على مبلغ من المال يُقدر بألف ألف درهم<sup>(٣)</sup>. ومن بعدها، اتجه القائد العربي إلى رامثين<sup>(٤)</sup>، ويبيكند، وقيل إنه وصل بقواته إلى مدينة صَغَانِيان<sup>(٥)</sup>. إلا أن القائد

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٣٩.

(٢) الكرديزي: زين الأخبار، ص ١٦٧-١٦٨؛ بوربيوي أحمدوف: وزاهد الله منوروف: العرب والإسلام في أوزبكستان تاريخ آسيا الوسطى من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم، الطبعة الثانية، مراجعة نعمت الله ابراهيموف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م، ص ٨٠.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطَّبَّاع وعمر أنيس الطَّبَّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٥٧٧.

(٤) رامثين: وتكتب رميتين، وهي ذات حصن كبير، وتُعد المقر القديم لحكام بُخَارَى، كان بها بيت للأصنام، يُعزى بناؤها إلى البطل الأسطوري أفراسياب، يقال إن خصمه كيخسرو أسس على الضفة المقابلة لها قرية رامش وشيّد بها بيت نار، ظل موجودًا حتى عصر السامانيين، يقول المجوس إنه أقدم من بيت نار بُخَارَى (الترشحي: تاريخ بُخَارَى، ص ٣٥؛ بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش: تُرْكِسْتَان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢١٥).

(٥) صَغَانِيان: ينطقها العجم جغانيان، وهي ولاية عظيمة واسعة بما وراء النهر، أعمالها متصلة بترمد، فيها جبال وسهول (البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٨٤٢).

العَرَبِي: عُيَيْدُ اللَّهِ بن زياد لم يتمكن من الاحتفاظ بمدينة رامثين، فسبي عددًا من أهلها، وحملهم معه إلى مدينة البَصْرَة<sup>(١)</sup>.

وحول هؤلاء الأسرى الذين حملهم معه القائد العَرَبِي: عُيَيْدُ اللَّهِ بن زياد، تدور العديد من القصص، حيث قيل إنه عقب وصولهم إلى البَصْرَة، تم عرض هؤلاء الأسرى على والي العِرَاق: الحجاج بن يوسف الثقفي<sup>(٢)</sup>؛ فأفرد لهم حياً في البَصْرَة، أُطلق عليه: سكة البُخَارِيَّة نسبة إليهم<sup>(٣)</sup>. وبذلك تُعد حملة عُيَيْدُ اللَّهِ بن زياد بن أبيه من قبيل الحملات الخاطفة على بُخَارَى، أثناء حكم الخاتون لها، وهي حملة عادت على العَرَب على الغنائم فقط، وكانت تمهيداً لغزوات منظمة لاحقة، حاول العَرَب فيها الاستقرار في تلك المناطق، ومن ناحية أخرى أسهم انتقال العديد من الأسرى البُخَارِيِّين إلى البَصْرَة واطلاعهم على عادات وتقاليد العَرَب في انتشار الإسلام بينهم فيما بعد<sup>(٤)</sup>.

ولم تمر أكثر من ثلاث سنوات على المعاهدة والصلح بين الخاتون والعَرَب إلا وقد نكثت عهدها، وامتنعت عن تقديم الجزية، وبالتالي أرسل الخليفة معاوية

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص ١٦٨.

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل الثقفي: ولد ونشأ في الطائف، أمره الخليفة عبد الملك بن مروان بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز وقتل عبد الله بن الزبير وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ والمُدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ والطائف، ثم أضاف إليهم ولاية العِرَاق والثورة قائمة فيه؛ فقمعها، ومع الوقت أصبح المشرق الإسلامي تحت سيطرته، وقد بنى الحجاج مدينة واسط، وظل والياً على العِرَاق قرابة عشرين عاماً، وعقب وفاته أُسندت ولاية العِرَاق إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة (الكرديزي: المصدر السابق، ص ١٧٢؛ الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٦٨).

(٣) محمد أحمد محمد بدوي: بُخَارَى في صدر الإسلام، ص ٨٦.

(٤) نعمة علي مرسي: طبقة الدهاقين في بُخَارَى، مطبعة أبو هلال، المنيا- مصر، ١٩٩٥م، ص ٤٥-٤٦.

بن أبي سفيان رضي الله عنه قائداً جديداً لفتح بُخَارَى وهو: القائد سعيد بن عثمان بن عفان<sup>(١)</sup>، الذي أُسند إليه ولاية خُرَاسَانَ في ٥٦هـ / ٦٧٥م؛ وبالتالي عبر نَهْر جِيحُون، وكان أول من قطعه بجنده، فما كان من الخاتون إلا أن حملت إليه الجزية طالبة الصلح من جديد، ثم ما لبثت أن عاودت نقض عهدها عقب تجمع التُّرك حولها، وإقبالهم عليها من عدة بلدان: ككَشَّس<sup>(٢)</sup> ونَسَف<sup>(٣)</sup> وغيرهما من البلدان، إلا أن القائد العَرَبِي تمكن من هزيمتها وجمعها، فعاودت الخاتون طلب الصلح مرة ثالثة، مما يدل على تذبذب موقفها تجاه العَرَب<sup>(٤)</sup>.

ولكي تبرهن الخاتون على حُسن نواياها تجاه العَرَب الفاتحين هذه المرة، فقد أعانت القائد سعيد بن عثمان بأهل بُخَارَى أثناء محاولته فتح سَمَرْقَنْد، وسارت معه حتى أبوابها، كما أعانتهم في المسير إلى مدينة تَرْمَذ<sup>(٥)</sup> لفتحها<sup>(٦)</sup>.

<sup>(١)</sup> سعيد بن عثمان بن عفان: ولاء معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه خُرَاسَانَ سنة ٥٥هـ / ٦٧٥م، حاول إكمال فتح بُخَارَى، فأصيب على أبواب سَمَرْقَنْد، وفقعت عينه بسهم، فذهبت إحدى عيونهما، وفي عهده مَلَكَ العَرَب الضياعَ وأقاموا المنازل، واستقروا هناك بأمر من معاوية رضي الله عنه حتى لا يعبر التُّرك النَّهْر (الكرديزي: زين الأخبار، ص ١٦٨).

<sup>(٢)</sup> مدينة كَشَّس: مدينة من الخامس من ما وراء النَّهْر، خصبة وفواكهها تدرك قبل فواكه غيرها من بلاد ما وراء النَّهْر، ولها نهران كبيران أحدهما يُسَمَّى نَهْر القَصَّارين والآخر نَهْر أَشور ويجري على شمالَيْها، وهي مدينة قريب نَخْشَب (ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص ٥٥٠).

<sup>(٣)</sup> مدينة نَسَف: مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرياسة، بين جِيحُون وسَمَرْقَنْد، لها قهندز وربض وأبواب أربعة، وهي في مستواها، والجبال منها على فَرْسَخِين فيما يلي كَشَّس، ولها قَرْى كثيرة، وليس بها نَهْر جارٍ سوى نَهْر يجري في وسط المَدِينَة، وزروعهم وبساتينهم على الآبار (البغدادي: مرصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٣٧١).

<sup>(٤)</sup> البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٧٨؛ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العَرَبِي والتُّركي، ص ١٤٢؛ محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٨٢.

<sup>(٥)</sup> تَرْمَذ: تكتب تَرْمَذ وأحياناً تَرْمَذ، وثالثة بالضم، مدينة من أمهات المَدُن المشهورة تقع شرق نَهْر جِيحُون من ناحية الشرق، يحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالأجر وبعض قُرَاها تسقى من صَعَانِيَان لأن جِيحُون يبعد مسافة عن أماكن استقرار القرويين (البغدادي: مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٥٩).

<sup>(٦)</sup> حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٤٢؛ محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٨٣.

وفي حقيقة الأمر، فإن القائد سعيد بن عثمان كان حذرًا من الخاتون، وكثيرًا ما رد هداياها الفاخرة التي قدمتها؛ نظرًا لتذبذب موقفها، وعدم صدق نواياها مع العرب، لذلك: كثيرًا ما قامت الخاتون بالاحتجاج على القائد سعيد بن عثمان بما كان بينها وبين القائد عبَّيد الله بن زياد من عهود ومواثيق مبرمة، وقد أشار فامبري<sup>(١)</sup> إلى ذلك بقوله: "رد القائد العربي هديتها، ولم يلق بالألإ إلى ما كان بينها وبين سلفه من عهد، ثم جدّ في مهاجمة المدَّينة، وفَت في عضد الملكة طول النضال مع تمرد الرعية فطلبت الصلح من جديد"، ولإزالة الشك بينهما طلب القائد سعيد بن عثمان من الخاتون أن تقدم رهائن؛ ضمناً لتنفيذ ما تعاهدت عليه من الصلح، فأرسلت إليه ثمانين رجلاً من أعيان بلادها ودهاقينه<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم، تسلّم القائد سعيد بن عثمان الرهائن منها حتى يكونوا ضمناً لجيشه من غدر الخاتون، وحُسن طاعتها للمسلمين، ولكي يطمئن العرب على مؤخره جيشهم<sup>(٣)</sup>، وإن كان يبدو أن الخاتون - في حقيقة الأمر - قد قدمت هؤلاء الرهائن رغبة منها في أن يرحل العرب عن بُخَارَى إلى أماكن أخرى، في محاولة يائسة منها؛ نظرًا لعدم نجدها من ملك التُّرك، مما يؤكد عدم استقرار العرب في بُخَارَى في تلك الفترة لأخذهم بضمانات من غدرها.

(١) تاريخ بُخَارَى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلق عليه أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، القاهرة - مصر، ١٩٨٧م، ص ٥٨.

(٢) الدهاقنة: وتكتب دهاقين، وهم طبقة اجتماعية من أغنى طبقات المجتمع البخاري، إذ تُعد الطبقة الأرستقراطية في البلاد المسيطرة على الأراضي الزراعية، وإقطاعاتها. ومعناها: القرويون المسيطرين على الأراضي، وقد استخدم لفظه دهقان فيما بعد كلقب يُطلق على ملوك بُخَارَى أنفسهم، الأمر الذي يؤكد أن طبقة الدهاقين قد لازمت الأمراء، وجاورت أماكن استقرارهم داخل بُخَارَى، وهي التي تعود إليها من حيث الأصل والنشأة الأسرة الحاكمة في إقليم بُخَارَى لفترات ممتدة (نعمة علي مرسي: طبقة الدهاقين في بُخَارَى، ص ٥).

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٧٨ - ٥٧٩.

أما عن الرهائن الذين قدمتهم الخاتون فإن هناك شك من بعض المستشرقين على أنهم من الأعيان والدهاقنة، بل قيل إنهم من المعارضين سياسياً للخاتون نفسها<sup>(١)</sup>.

كذلك اختلفت الآراء حول عدد هؤلاء الرهائن، فيشير النرشخي<sup>(٢)</sup> إلى أن عددهم ثمانين شخصاً من أمراء ودهاقين بُخَارَى، ويقول ابن أعثم الكوفي<sup>(٣)</sup> أنهم عشرون غلاماً من أبناء ملوك بُخَارَى كأن وجوههم الدنانير.

وما يؤكد عدم صحة قصة كون هؤلاء الرهائن من المعارضين سياسياً للخاتون هو إلحاحها - ومعها أهل بُخَارَى - في المطالبة بعودتهم إلى بُخَارَى، عندما نزل القائد سعيد ببُخَارَى عدة مرات، فرفض ثم وعداها ووعد أهل بُخَارَى بردهم عند وصوله للشاطئ المقابل من نَهْر جَيْحُون<sup>(٤)</sup>، ثم استمهلهم القائد سعيد بن عثمان حتى يصل إلى مدينة مَرُو، وكذلك عندما وصل إلى مدينة نَيْسَابُور<sup>(٥)</sup>، حتى وصل إلى مدينة الكُوفَة، ومنها إلى المَدِينَة المُنَوَّرَة، موطنه وموطن أسرته التي بها أراضي وممتلكاته<sup>(٦)</sup>.

<sup>(١)</sup> لقد دار اختلاف حول انتهاء هؤلاء الرهائن للمعارضين سياسياً للخاتون، وكونهم الذين اتهموها بأن ابنا طغشادة التي تقوم بالوصاية عنه على عرش بُخَارَى ليس من زوجها الملك بيدون، لكنها نجحت برغم ما قام من الفتن في أن تضمن العرش لابنها غير الشرعي طغشادة (فامبري: تاريخ بُخَارَى، هامش ٢، ص ٥٨).

<sup>(٢)</sup> تاريخ بُخَارَى، ص ٦٥.

<sup>(٣)</sup> كتاب الفتوح، ج ٤، ص ٣١٠.

<sup>(٤)</sup> ابن أعثم الكوفي: المصدر السابق والجزء، ص ٣١٣؛ فامبري: تاريخ بُخَارَى، ص ٥٩.

<sup>(٥)</sup> نَيْسَابُور: من إقليم خُرَاسَان، وقد اختلف في تسميتها، وهي كُورَة واسعة جليلة الرساتيق والضياء، مياها غزيرة، وقصبتها هي إيران شهر لها أربع خانات واثنان عشر رستاقا وثلاث خزائن (المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٩٤ - ٢٩٥، ٣٠٠).

<sup>(٦)</sup> فامبري: تاريخ بُخَارَى، ص ٥٩؛ يغلب على السياق الطابع القصصي دون سند يذكر، وإن كانت القصة متواترة بالفعل في بطون المصادر (محمد أحمد محمد بدوي: بُخَارَى في صدر الإسلام، ص ٤٢ - ٤٣).



وبناء عليه فقد بقي هؤلاء الرهائن عند سعيد بن عثمان بعد عزله من ولاية خُرَّاسَانَ، الذي سارع بمجرد وصله إلى جزيرة العَرَب بأمر الغلمان فحلوا السيوف والمناطق عنهم، وأخذوا ما كان معهم من ثياب وديباج وذهب وفضة، وأمرهم بالعمل بالفلاحة<sup>(١)</sup>؛ مما اضطرهم إلى الفتك به وقتله، ثم قتل أنفسهم<sup>(٢)</sup>.

وبعد فترة عين الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م) القائد: سلَّم بن زياد<sup>(٣)</sup> على ولاية خُرَّاسَانَ.

في عام ٦٨٠ هـ / ٦٨٠ م<sup>(٤)</sup>، الذي عمل على تغيير النظام المتبع في فتح بُخَارَى -نقصد أسلوب الحملات السريعة والغارات الخاطفة في فصل الصيف، ثم العودة إلى الحصون في خُرَّاسَانَ أثناء فصل الشتاء حتى العام المقبل<sup>(٥)</sup>، إذ يُعد سلَّم بن زياد

(١) النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٦٩.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٨٠.

(٣) سلَّم بن زياد: أمير من آل زياد. كنيته أبو حرب. كانت إقامته بالبَصْرَة. ولاء يزيد بن معاوية خُرَّاسَانَ سنة ٦٨٠ هـ / ٦٨٠ م، فذهب إليها وغزا سَمَرْقَنْد. وكان جوادًا، ولمَّا مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد، دعا سلَّم أعيان خُرَّاسَانَ إليه، وعرض عليهم أن يبايعوه على الرضا، إلى أن يستقيم أمر الناس على خليفة، فبايعوه سنة ٦٨٤ هـ / ٦٨٣ م، ثم نكثوا بعد شهرين، فاستخلف عليهم المهلب بن أبي صفرة، ورحل إلى سَرْحَس، ومنها إلى سَابُور. واجتمع بعبد الله بن خازم فأرسله إلى خُرَّاسَانَ وعزل المهلب. وقامت فيها الفتنة عبد الله بن خازم، وهو بعيد عنها. وتوفي بالبَصْرَة سنة ٦٧٣ هـ / ٦٩٢ م، وسلَّم هو الذي قاد المواجهة ضد الختاتون بعد القائد سعيد بن عثمان، التي ما لبثت أن استنجدت بالترك المجاورين لبِلَادِهَا، وتمكن من هزيمتهم، ثم بعد فترة ترك خُرَّاسَانَ وعاد إلى مَكَّة المَكْرَمَة (الكرديزي: زين الأخبار، ص ١٦٩؛ الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ١١٠).

(٤) عزل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن خُرَّاسَانَ سعيد بن عثمان سنة ٥٧ هـ / ٦٧٦ م، وأضيفت إلى ولاية عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد وفي رواية أخرى، أن معاوية رضي الله عنه وليَّ عليها عبد الرحمن بن زياد، إلا أنه لم يكن له دور في مجال الفتوحات، وعقب وفاة معاوية رضي الله عنه تولى الخلافة يزيد بن معاوية، الذي وليَّ سلَّم بن زياد خُرَّاسَانَ (محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٨٤).

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمَّان - الأردن، الرياض - السعودية، د.ت، ص ١٠٢٠؛ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٣٩.

أول القواد العرب الذين قاوموا عوامل البيئة الفارسية شديدة البرودة، والممرات الجبلية، التي يسهل للعدو الصمود عندها والدفاع عن أراضي المنطقة في أجواء البرد القارص، الذي لم يألفه العرب من قبل، فتمكن في سنة ٦٢هـ / ٦٨١م، من قضاء فصل الشتاء في الجهاد في سبيل الله<sup>(١)</sup>.

ولقد كانت أولى الخطوات التي قام بها القائد: سلم بن زياد أن توجه إلى مدينة خوارزم؛ فصالح أهلها على جزية مقدارها أربعمئة ألف<sup>(٢)</sup>، ومن هناك قطع نهر جيحون إلى داخل ما وراء النهر مصطحباً معه امرأته المسماة: أم محمد<sup>(٣)</sup>، وهي أول سيدة عربية تعبر نهر جيحون. أما عن موقف الخاتون من حملة سلم بن زياد، فإنها سرعان ما قدمت الجزية وأعلنت طلبها للأمان والصلح<sup>(٤)</sup>، ثم ما لبثت أن كررت موقفها القديم في الاستنجاد بالترك وطلب العون منهم، إذ طلبت المدد من ملك الصغد المسمى: طرخون، ومنتته بأنها على أتم الاستعداد أن تصير زوجة له، إذا تمكن من إنزال الهزيمة بالعرب وقائدهم: سلم، وذلك نكاية في العرب الفاتحين<sup>(٥)</sup>.

ومن ثم، تجمع للخاتون أعداد كبيرة من الترك لمواجهة قوات سلم بن زياد، الذي أرسل إليهم القائد: المهلب بن أبي صفرة<sup>(٦)</sup> على رأس قوة استكشافية، ليقف

(١) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٨١.

(٣) هي: أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفي، التي أتت سمرقند فأعطاها أهلها ألف دية، وولدت ولداً صغيراً أطلق عليه اسم: السغدي نسبة لتلك البلاد (البلاذري: المصدر السابق والصفحة).

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ص ١٠٢٠.

(٥) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٧٠.

(٦) المهلب بن أبي صفرة: ينتمي إلى أزد دبا بعمان، وكان أبوه من سادات الأزد، أسلم والده على عهد النبي ﷺ، ولم يفد عليه، ثم أوفده أمير البصرة على عمر بن الخطاب ﷺ، فسأله عن =

على أحوال هؤلاء التُّرك، ويعود للقوة العَرَبِيَّة بأخبارهم<sup>(١)</sup>، وقد انتهت المواجهة بين العَرَب والتُّرك بإنزال الهزيمة بالتُّرك والحصول على الغنائم والأسلاب الكثيرة؛ مما اضطر الأتراك إلى طلب الصلح، فصالحهم سَلْم على مال كثير؛ فأصاب كل فارس ألفين وأربعمائة درهم<sup>(٢)</sup>، وبذلك انتهت الحملات العسكرية الثلاثة الأولية على بُخَارَى بالصلح دون استقرار العَرَب بها.

وأَسند الحجاج بن يوسف الثقفي أثناء خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ / ٦٨٤ - ٧٠٥م) إلى القائد العَرَب: قتيبة بن مسلم الباهلي<sup>(٣)</sup> في سنة ٨٧هـ /

= اسمه فقال: "أنا ظالم بن سوق"، وكان أبيض الرأس واللحية، وكان قد اختضب، فقال له الخليفة بل أنت أبو صفرة، فغلبت عليه هذه الكنية، والمهلب قائد من قواد العَرَب الذي مهد لفتح السند وفتح كَشَّ وُحْجَنْدَة واستعاد منطقة الحُتْل واستخدمه القائد سَلْم بن زياد في فتح بُخَارَى (محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٨٤، ١٨٧ - ١٨٩).

<sup>(١)</sup> النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٧٠؛ يُذكر أن سَلْم بن زياد عندما كلف المهلب باستطلاع أمر العدو، اقترح المهلب تكليف غيره بهذه المهمة، لعلو مكانته، وقد يُفشي تغيبه عن معسكر المسلمين سر المهمة التي كُلف بها، إلا أن سَلْم أصر على إيفاد المهلب دون سواه لعظم المهمة (محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص ٨٤).

<sup>(٢)</sup> النرشخي: المصدر السابق، ص ٧١.

<sup>(٣)</sup> قتيبة بن مسلم الباهلي: هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أبو حفص، ولد ٤٩هـ / ٦٦٩م، أمير، فاتح، من مفاخر العَرَب، كان أبوه كبير القدر عند يزيد بن معاوية. تولى الرِّيَّ في أيام عبد الملك بن مروان، وُخْرَاسَان في أيام ابنه الوليد. ووثب لفتح ما وراء النَّهْر، فتوغل فيها. وافتتح كثيرًا من المدائن كخُوَارِزْم وِسَجِسْتَان وِسَمَرْقَنْد وغزا أطراف الصِّين، وضرب عليها الجزية، وأذعنت له بلاد ما وراء النَّهْر كلها، واشتهرت فتوحاته، ولمَّا مات الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك، الذي كان يكره قتيبة، فأراد قتيبة الاستقلال بما في يده، وجاهر بنزع الطاعة، واختلف عليه قادة جيشه، فقتله وكيع بن حسان التميمي بقرعانة، سنة ٩٦هـ / ٧١٥م (الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٨٩ - ١٩٠).

٧٠٦م ولاية خُرَاسَانَ؛ فَأَتَى خُرَاسَانَ عَنْ طَرِيقِ قُومِسٍ<sup>(١)</sup>، عَلَى عَكْسٍ مِنْ قَدَمِ قَبْلِهِ مِنَ الْفَاتِحِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ عَنْ طَرِيقِ فَارِسٍ وَكِرْمَانَ<sup>(٢)</sup>، وَيَرْجِعُ الْفَضْلُ لِلْقَائِدِ قَتِيْبَةٍ فِي فَتْحِ بُخَارَى، وَالْإِعْتِنَاءُ بِالْمُدِيْنَةِ وَتَنْظِيْمِهَا، وَلَا بَدَأَ أَنْ نُوْضِحَ أَنَّ فَتْحَ بُخَارَى لَمْ يَتِمَّ مِنْ أَوَّلِ مَحَاوَلَةٍ لِلْقَائِدِ قَتِيْبَةٍ؛ إِنَّمَا تَمَّ بَعْدَ عِدَّةِ مَحَاوَلَاتٍ، قَادَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ تَحْتَ زَعَامَتِهِ أَرْبَعَ مَهْمَلَاتٍ مُتتَالِيَةٍ<sup>(٣)</sup>.

وأولى المحاولات التي قادها القائد قتيبة عقب أن جهزه الحجاج بن يوسف الثقفي بكل التجهيزات العسكرية للمسير إلى بخارى في سنة ٨٩هـ / ٧٠٨م، إلا أن تلك المحاولة باءت بالفشل؛ لشدة تصدي أهالي بخارى ومقاومتهم الشديدة للفاحين، مع اعتمادهم الكبير على جحافل التُّرك المساندة لهم، وبالتالي اتجه قتيبة بجيشه واستولى على منطقتين رئيسيتين هما: كَشَّ وَنَسَفَ وصالحهما، ثم عاد قتيبة إلى مَرَوَ، التي اتخذها عاصمة له آنذاك. ثم قام بمحاولتين متتاليتين بعدها للهجوم على بخارى في العام نفسه، إلا أنها باءت بالفشل، فلم يستطع فيهما القائد قتيبة بن مسلم إخضاع بخارى، ولم يسلم أهلها بلادهم للعرب<sup>(٤)</sup>.

(١) قُومِس: وهي في الإقليم الرابع، وهي تعريب قُومِس، وهي كُورَة كبيرة واسعة تشتمل على مدن، وقُرَى، ومزارع، وهي في ذيل جبال طَرِسْتَانَ، وَقَصْبَتْهَا المشهورة دَامِغَانَ، تقع بين الرَّيِّ، وَنِسَابُورَ، ومن مدنها المشهورة بَسْطَامَ، وبيار (ياقوت الحموي: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ج ٤، ص ٤١٤).

(٢) الكرديزي: زين الأخبار، ص ١٧٢؛ كِرْمَانَ: معظم إقليم كِرْمَانَ في المفازة العظمى، وليس اتصال عمارتها مثل اتصال عمارات فَارِسَ، مقسمة إلى خمس كور كل كُورَة باسم قَصْبَتْهَا، وقصبة الإقليم الحالية مدينة كِرْمَانَ، فهذا الإقليم وقصبتيه يعرفان باسم واحد على ما هو جارٍ في بلاد الشرق غالباً، وكان لإقليم كِرْمَانَ في القرون الوسطى قصبتان، هما السَّيْرَجَانُ وَبَرْدَسِيرَ، وتوافق المدينة الأخيرة مدينة كِرْمَانَ الحالية القائمة قرب الناحية التي مازالت تعرف بناحية بَرْدَسِيرَ (كي لسترنج: بُلْدَانُ الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ، ص ٣٣٧-٣٣٨).

(٣) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٧٧-٧٨؛ نعمة علي مرسي: طبقة الدهاقين في بخارى، ص ٣٧؛

Gibb: The Arab Conquests in central Asia, (London, 1923), P.40.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق والجزء، ص ٧٨-٨٠؛ بوربيوي أحمدوف: العرب والإسلام، ص ٨١.

وقد تمكنت الدولة الأموية في ذلك الوقت من حشد العديد من القوات في خُرَّاسَانَ، ونظم القائد قتبية قواته في مدينة مَرُو، وبذلك اكتملت الاستعدادات العسكرية ذات طابع أعمق وأوسع، واكتمل لقتبية قوة حربية تُقدر بسبعين ألف مقاتل<sup>(١)</sup>، كذلك تخلص قتبية من بقايا أسرة المهلب بن أبي صفرة في الحكم، والمتمثل في المفضل بن المهلب؛ إذ أرسله وسائر ولد المهلب للحجاج بن يوسف الثقفي في العِراق<sup>(٢)</sup>، فسنحت لقتبية الفرصة للسيطرة على الحكم في خُرَّاسَانَ بدون منازع، وأخذ في ضم العديد من العناصر المؤيدة له فيما وراء النَّهْر؛ فانضم إليه عدد من دهاقين بَلْخ<sup>(٣)</sup> وهو بالطالقان<sup>(٤)</sup>، وساروا معه في فتوحاته تجاه المناطق الشرقية<sup>(٥)</sup>.

أما عن أوضاع بُخَارَى السياسية في تلك الفترة، فنرى أن الخاتون الحاكمة نيابة عن ابنها طغشادة قد توفيت، وحل محلها أحد الوزراء والمُسَمَّى: "وَرْدَانَ

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ج ٢، ص ٢٠٨؛ كان المفضل بن المهلب هو والي خُرَّاسَانَ وقبله يزيد بن المهلب، وتم عزل المفضل في خلافة الوليد بن عبد الملك على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، وولّى مكانه قتبية، فأصبح بلا منافس هنالك (محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٩١).

(٣) بَلْخ: مدينة خُرَّاسَانَ العظمى، في الإقليم الرابع، كانت مساحتها ثلاثة أميال في مثلها، بناؤها من الطين وكذلك سور المَدِينَة، ويحف بالسور خندق عميق، ولها تَهْر يُسَمَّى داهاس، وللمدينة سبعة أبواب هي باب النوبهار، وباب الرحبة، وباب الحديد، وباب الهندوان "أي باب الهندوس"، وباب اليهود، وباب "شست بند" أي باب الستين سد، وباب يحيى، وبين بَلْخ وأقرب الجبال إليها نحو أربعة فراسخ (ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص ٢٢١-٢٢٢؛ كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٦٢-٤٦٣).

(٤) طالقان: أكبر مدينة بخُرَّاسَانَ، بين مَرُو الروذ وبلْخ (البغدادي: مرصد الاطلاع، ج ٢، ص ٨٧٦).

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٩٠.

خُداة"، ويرجع أصله إلى تُرْكِسْتَان<sup>(١)</sup>، وهو الذي وقع على كاهله مهمة الدفاع عن بُخَارَى وأهلها ضد العَرَب<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٨٧هـ / ٧٠٦م، اتجه القائد قتيبة إلى مدينة بَيْكَنْد -وهي في الجُنُوب الغربي في الطريق إلى مدينة بُخَارَى- التي تُعد أقرب مدنها إليها، وحارب أهلها حروباً شديدة، حتى اضطر العَرَب إلى طلب المدد من أحد ملوك التُّرْك المسلمين معهم والمُسَمَّى: نَيْزِك صاحب بَادَغَيْس<sup>(٣)</sup> الذي استمر في مساعدته للعَرَب حتى تم فتح إقليم بُخَارَى<sup>(٤)</sup>.

انتهت المعركة أمام أبواب بَيْكَنْد بانتصار العَرَب، بعد حفر خندقاً في جدار سورها، وعمل ثغرة فيه، ولكن أهل بَيْكَنْد ما لبثوا أن طلبوا الصلح مع العَرَب؛ فصالحهم قتيبة على مال يؤدونه، ووضع عليهم أميراً من قبَله هو: ورقاء بن نصر الباهلي<sup>(٥)</sup>. ولكن أهل بَيْكَنْد ما لبثوا أن انقضوا على واليها، ونقضوا العهد مع العَرَب<sup>(٦)</sup>.

(١) تُرْكِسْتَان: اسم جامع لجميع بلاد التُّرْك، وأوسع بلاد التُّرْك بلاد التَغزغز، وحدهم الصَّين والتَّبْت، وأول حدهم من جهة المسلمين فَارَاب (ياقوت الحموي: مُعْجَم البلدان، ج ٢، ص ٢٣).

(٢) نعمة علي مرسي: طبقة الدهاقين في بُخَارَى، ص ٣٨.  
(٣) بَادَغَيْس: بليدات وقُرَى كثيرة ومزارع بنواحي هَرَاة وَقَصْبَتْهَا باميين، وقيل إنها كانت دار مملكة الهياطلة، وقيل هي بالعُجْمِيَّة باذخير لكثرة الرياح بها فعُرِّبَتْ وقيل بَادَغَيْس، وهي من الرابع من خُرَّاسَانَ (ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص ١٨٩).

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٨؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٧٧؛ بوربيوي أحمدوف: العَرَب والإسلام، ص ٨٠؛ جدير بالذكر أن نَيْزِك نقض عهده بعد ذلك مع قتيبة، الذي قضى سنة ٩١هـ / ٧١٠م، في القضاء على فتنة نَيْزِك (محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٩٦).

(٥) ورقاء بن نصر الباهلي: رئيس شرطة قتيبة بن مسلم في خُرَّاسَانَ

ANTHONY Ashley Bevan: the Naka'id of Jarir and Al-Farazdak edited, j.Brill publishers and printers Leiden 1908, vol III, p.245.

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٨؛ النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٧٣-٧٤.

وقد ترتب على ذلك عودة القائد قتيبة، وإصدار أوامره لعساكره بنهب بِيكَنْد، واستباحة دماء أهلها وأموالهم، فقتل من كان في بِيكَنْد، واسترق من بقي بحيث لم يبق أحد في بِيكَنْد<sup>(١)</sup>، ولكن في حقيقة الأمر فإن قتيبة والعرب لم يقدموا على قتل إلا أهل الحرب من البيكَنْديين<sup>(٢)</sup>، أما باقي الأهالي فصاروا في الأسر، والدليل على ذلك أنه عندما عاد تجار بِيكَنْد من تجارتهم مع الصّين وغيرها، طالبوا قتيبة برد هؤلاء الأهالي الذين وقعوا في الأسر، فبتناعواهم من العرب سلمهم قتيبة إلى ذويهم مقابل مبلغ معين من المال، هذا إلى جانب قيام هؤلاء التجار العائدين بتعمير مدينة بِيكَنْد من جديد<sup>(٣)</sup>، وهذا يدل على أن العرب وظفوا الاسترقاق لخدمة الفتح بحصولهم على المال مقابل إطلاق سراح الأسرى تغطية لنفقات الحملة العسكرية.

لم يتقدم القائد قتيبة مباشرة لفتح بُخَارَى؛ بل عمل على عزل المدينة عن باقي حلفائها، وذلك بإخضاع ما حولها من المدن، مثل: رامثين والصُّغد، حتى يضمن نجاح حملته على بُخَارَى<sup>(٤)</sup>.

وهناك عدة روايات بين المؤرخين حول خط سير الحملة العربية على بُخَارَى، فقد قيل إنه سار من بِيكَنْد إلى مَرُو عاصمة خُرَاسَانَ في سنة ٨٧هـ/ ٧٠٦م، لتكتملة الاستعدادات العسكرية لفتح بُخَارَى<sup>(٥)</sup>، بينما ذكر النرشخي<sup>(٦)</sup> إلى أنه لما فرغ من أمر بِيكَنْد اتجه صوب قرיתי: "خنبون" و"تاراب" - على بُعد ثلاثة فراسخ من بُخَارَى - واستولى عليها، أي أنه لم يذهب تجاه مَرُو.

(١) المصدر السابق، ص ٧٤.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ص ١٢٣٤.

(٣) النرشخي: المصدر السابق والصفحة؛ فامبري: تاريخ بُخَارَى، ص ٦٣.

(٤) فامبري: المرجع السابق، ص ٦٤.

(٥) الطبري: تاريخ الطبري، ص ١٢٣٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، أحداث سنة ٨٧هـ،

ص ١١.

(٦) تاريخ بُخَارَى، ص ٧٥.

وكان ذلك في سنة ٨٩هـ / ٧٠٨م، عندما قصد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي بُخَارَى، وملكها "وَرْدَانُ خُدَاة"، بأمر من والي العِرَاق: الحجاج بن يوسف الثقفي، إلا أن قتيبة لم يظفر بحاكم بُخَارَى آنذاك، فكتب الحجاج يُعلمه بالصعوبات التي قابلها في فتح مدينة بُخَارَى، ومقاومة حاكمها: "وَرْدَانُ خُدَاة"، فكتب إليه الحجاج يأمره بالتوبة وعدم التقاعس عن مقاتلة "وَرْدَانُ خُدَاة"، وضرورة الظفر به والانتصار عليه، ويُعرفه الموضوع الذي ينبغي عليه أن يأتيه<sup>(١)</sup>، بمعنى أنه رسم له خطة الحرب والقتال.

وتُعد هذه المرة الرابعة التي قادها قتيبة بن مسلم لفتح مدينة بُخَارَى، وبالتالي صالحه أهلها<sup>(٢)</sup>.

وقد صرف قتيبة مدة من الزمن ومقدارًا بالغًا من التفكير في إخضاع سكان بُخَارَى الذين كانوا يخضعون لحكم العَرَب حينًا ويتمردون عليهم حينًا آخر. وكانت الصعوبة ليست في فتح بُخَارَى بالقوة العسكرية، بل في فتح قلوب السكان التي قد تجمدت في الوثنية والأوهام. ومع أنهم قد سلموا أنفسهم إلى سلطة العَرَب مرارًا، غير أنهم كانوا كلمًا رأوا سابقًا -أي قبل عهد قتيبة- أن القوة الرئيسة من قوات العَرَب قد ارتحلت لجهة أخرى، أخذوا أسلحتهم ورفعوا لواء العصيان ضد العَرَب، وكان السبب الأصلي لهذه الثورات يرجع إلى كون أكثر السكان قد لبسوا ثياب الإسلام في الظاهر. لكنهم في الباطن قد بقوا في الوثنية<sup>(٣)</sup>.

وقد ترتب على فتح قتيبة والعَرَب لمدينة بُخَارَى دخول العديد من ما وراء النَّهْر في حوزة الدولة الإسلامية، وامتداد نفوذ العَرَب إلى سَمَرْقَنْد سنة ٩٥هـ / ٧١٣م، والتي جددت معاهدها القديمة، وكذلك امتدت حركة الفتوحات

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، أحداث سنة ٨٩هـ، ص ١٧.

(٢) النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٧٦؛ Gibb: The Arab Conquests in central Asia, P.41.

(٣) بدر الدين حي الصيّني: العلاقات بين العَرَب والصّين، ص ٢٦.



الإسلامية شطر الشرق، ودخل إلى كَاشَغَرَ<sup>(١)</sup> فاتحًا في العام نفسه وغيرها من الأقاليم البعيدة<sup>(٢)</sup>.

وبذلك أكمل القائد قتيبة بن مسلم الباهلي فتح المناطق الكائنة فيما وراء النَّهْرِ وَبُخَارَى، وجميع ما يحيط بها من مدن، وذلك في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م)؛ وبذلك أسقط قتيبة الحاكم "وَرْدَانَ خُدَاة"، الذي اغتصب العرش من ورثة الخاتون، ومن ثم، أعاد الأمر إلى ابن الملك "بيدون" وهو: "طغشادة"، الذي ما لبث أن أعلن إسلامه؛ فاحتفظ بالحكم على بُخَارَى مدة اثنين وثلاثين عامًا؛ إذ ثبت طغشادة على العرش تكريمًا له، طوال عهد قتيبة ومن بعده<sup>(٣)</sup>.

ومما يدحض فكرة أن الإسلام انتشر بحد السيف ما رواه البلاذري<sup>(٤)</sup> أنه "لمَّا استخلف عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧٢٠م) وفد عليه قوم من أهل سَمَرْقَنْد فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر، فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضيًا ينظر فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين اخرجوا، فَصَبَّ لهم قاضيًا يُسَمَّى: جُمَيْع بن حاضر الباجي، فحكم بإخراج المسلمين على أن ينادوهم على سواء، فكره أهل مدينة سَمَرْقَنْد الحرب وأقروا المسلمين، فأقاموا بين أظهرهم".

وبالجمللة فإن أهمية هذا الصراع العسكري لم تنحصر حول النجاح السياسي اللحظي والفتح؛ بل تُعد مراحل الصراع بين الأمويين وبين الأتراك في هذه الفترة من أهم الجهود التي قُدر لها أن تحمي الإسلام والثقافة العربية في البلاد. إذ كان

(١) كَاشَغَرَ: هي مدينة وقَرْزَى ورساتيق يسافر إليها من سَمَرْقَنْد، وهي في وسط بلاد التُّرْك وأهلها مسلمون، وينسب إليها العلماء (ياقوت الحموي: مُعْجَم البلدان، ج ٤، ص ٤٣٠).

(٢) بدر الدين حيي الصَّيْنِي: العلاقات بين العَرَب والصَّيْن، ص ٢٧.

(٣) النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٢٤؛ فامبري: تاريخ بُخَارَى، ص ٤٠.

(٤) فتوح البلدان، ص ٥٩٣.

وجود القوة العسكرية العَرَبِيَّةِ درعًا أمام جحافل الأتراك الشرقيون الذين عاودوا الظهور في القرن الثامن الميلادي، وامتدت إمبراطوريتهم من بلاد الصَّين حتى إقليم ما وراء النَّهْر، وظلوا يهددون إقليم ما وراء النَّهْر طوال العصر الأموي<sup>(١)</sup>.

### ثالثًا: السبل السياسية لنشر الإسلام بين أهالي بُخَارَى عقب الفتح:

يمكن الجزم بأن المسلمين لم يرغموا أهالي بُخَارَى على الدخول في الإسلام، ويتضح هذا بالنظر إلى الوقائع التاريخية المجردة، وأبرز نموذج شخصية الخاتون نفسها، التي ظلت في الحكم خمسين سنة قضت شطرًا منها في ظلّ الحكم الإسلامي دون أن تعتنق الإسلام، فلم يحملها أحد من الفاتحين على الإسلام، مادامت تفي بشروط الصلح وتلتزم بها، وهذا دليل واقعي على كذب ادعاء الذين يدَّعون أنّ الإسلام انتشر بحدّ السَّيف<sup>(٢)</sup>.

(والحق ما شهد به الأعداء) فهي هو المستشرق فامبري<sup>(٣)</sup> يشهد شهادة حق فيقول: "ولقد غزا المسلمون بُخَارَى ثلاث مرات من قبل ونشروا دينهم بها، ولكن أهلها كانوا يرتدون إلى عقيدتهم القديمة عقب رحيل الغزاة عنهم في كل مرة. وها هي تفتح أبوابها للمرة الرابعة لتستقبل الفاتحين ومعهم تعاليم نبيهم، تلك التعاليم التي قوبلت أول الأمر بمعارضة شديدة ثم أقبل القوم من بعد ذلك عليها في غير شديدة، حتى لترى الإسلام الذي أخذ شأنه يضعف في جهات آسيا الأخرى، وقد غدا في بُخَارَى اليوم عام ١٨٧٣ م على الصورة التي كان عليها أيام الخلفاء الراشدين".

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٥٢.

(٢) محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٧٥.

(٣) تاريخ بُخَارَى، ص ٦٦-٦٧.

ومن هنا لا نستغرب اتجاه تفكير قتيبة بعدما فتح بلاد بُخَارَى، إلى البحث عن وسيلة يستعين بها في إسلام أهلها وتبديل معتقداتهم من أصلها<sup>(١)</sup> والعمل على استمالة أهل بُخَارَى بجميع عناصرهم وطبقاتهم، وتحويلهم عن ديانة المجوس الزرادشتية<sup>(٢)</sup>، والمانوية<sup>(٣)</sup> والمزدكية<sup>(٤)</sup> وعبادة الأصنام.

(١) بدر الدين حيي الصَّيْنِي: العلاقات بين العَرَب والصَّيْن، ص ٢٦.

(٢) الزرادشتية: من الديانات القديمة، نسبة إلى مؤسسها زرادشت، الذي ولد في أَدْرِيَجَان ويعبدوا إله اسمه: أهورا مزدا، وهو اسم من ابتداء زرادشت، اخترعه ليخالف به ما كان سائداً في زمانه عن أسماء آلهة متشابهة في الأسماء والأفعال - تعالى الله الواحد الأحد عن هذه الخرافات - وقد نشأت هذه الديانة في بلاد فَارِس، قُتِل زرادشت وفقاً للتقويم المعمول به حالياً في عبادات مجوس الهنْد وإِيرَان في اليوم الحادي عشر من السنة الثامنة والأربعين لدعوته. والذي يوافق اليوم الأول من شهر مايو لسنة ٥٨٣ ق. م عن عمر يقدره مجوس الهنْد في وقتنا الحاضر بسبعة وسبعين سنة وأربعين يوماً (الشفيع الماحي أحمد: زرادشت والزرادشتية، مجلس النشر العلمي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والعشرون، الرسالة ١٦٠، جامعة الكويت، الكويت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ١٧، ٢٣، ٢٩).

(٣) المانوية: تنسب إلى مؤسسها ماني بن فتق، من أهل هَمْدَان الذي ولد في العام الرابع من حكم أردوان (٢١٥ - ٢١٦م)، تُعد موضوعات مذهبه مقتبسة عن الدين البابلي القديم والبودية وعقائد زرادشت والمسيحية، إلا أنها تميل للزرادشتية بشكل أكبر، لكن مذهبه كان موضع نفور من أتباع المسيحية والزرادشتية، كما حظى مذهبه بالعديد من الأتباع على مدى عدة قرون، وأثر كثيراً في الأفكار المذهبية في آسيا وأوروبا، أعدمه بهرام الأول (٢٧٣ - ٢٧٦م) ونزع جلده عن جسده وحشاه تبناً قائلاً: جاء هذا الشخص يدعو الناس إلى تخريب الدنيا، ويجب أن يهلك أولاً قبل تنفيذ خطته (براون: تاريخ الأدب في إيران، ج ١، ق ١، ص ٢٤١، ٢٤٥ - ٢٤٦).

(٤) المزدكية: نسبة إلى رجل إِيرَانِي، ظهر في إقليم خُرَاسَان يُسَمَّى: "مزدك". وكانت تعاليمه تنجح إلى شيوعية الثروة والأسرة. هذا بالإضافة إلى بعض المظاهر الاشتراكية الأخرى. وقد لقي هذا المذهب قبولاً من الجماهير التي عانت من ظلم الطبقات الممتازة. وتفشت بينهم ودفعت بهم إلى الثورة السافرة التي هددت كيان الدولة وأضعفت من سلطانها (حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العَرَبِي والترُّكِي، ص ١٩).

ولا شك أن استقرار الفاتحين العرب في منطقة بُخَارَى قد ساعد شيئاً فشيئاً على انتشار الإسلام بين طبقات المجتمع البُخَارِي، إضافة إلى ما بذله القائد العربي: قتيبة من جهودات وسياسات مرسومة، للفت الانتباه إلى تعاليم الدين فداوم على البدء بصلاة الشكر قبل عقد أي معاهدة صلح مع أهالي البلاد أو توقيعها، مثال ذلك عند فتح قتيبة لبُخَارَى صلحاً في المرة الرابعة، قام بالصلاة ركعتين قبل عقد كتاب الأمان، وأشار لذلك البلاذري<sup>(١)</sup> بقوله: "قال: دعوني أدخلها فأصلي ركعتين، فأذنوا له في ذلك".

ثم تكرر الفعل نفسه عند عقد معاهدة الصلح مع حاكم الشَّاش<sup>(٢)</sup>: غوزك بن أخشيد إذ "وثب قتيبة فصلي ركعتين، ثم دعا بكاتبه، فأمر أن يكتب لغوزك بن أخشيد عهده الذي صالحه عليه"<sup>(٣)</sup>.

ما يدل على احترام القادة العرب لشعائهم الدينية، فضلاً عن جذب المعاهدين بطريقة غير مباشرة للتعرف على الديانة الإسلامية.

#### - قيام قتيبة بإنشاء العديد من المساجد في بُخَارَى:

ثم بادر قتيبة ببناء المساجد الجامعة في بُخَارَى وغيرها من المدن المجاورة؛ لكونها تُعد من أهم مظاهر الحياة الدينية الإسلامية، فحرص على إقامة مسجد قتيبة، بالقرب من قلعة بُخَارَى<sup>(٤)</sup>.

(١) فتوح البلدان، ص ٥٩١.

(٢) الشَّاش: مدينة جليلة من عمل سَمَرْقَنْد، وقَصَبَتْهَا بنكث، وهي في أرض مستوية لا جبل فيها ولا أرض مرتفعة، وبساتينها كثيرة، وهي من الثغور التي في ناحية التُّرْك (الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار مُعْجَم جغرافي، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ١٩٨٤م، ص ٣٣٥).

(٣) ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ج ٧، ص ١٦١؛ تم عقد الصلح مع حاكم الشَّاش المُسَمَّى: "غوزك"، الذي أذعن لدفع جزية مقدارها ألف ومائتي ألف درهم تدفع في كل عام للدولة الإسلامية، ويقال كان الصلح على سبعمائة ألف درهم، وضيافة المسلمين ثلاثة أيام (البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٩٢).

(٤) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٥ - ٥٠٦؛ حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والتُّرْك دراسة تاريخية أدبية، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة =

وهو من المساجد التي تُعد من المعالم الأثرية التي ظلت لِعقود متتالية؛ فقد تم توسعته في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م)، لكي يستوعب أعداد المصلين المتزايدة<sup>(١)</sup>، كما تم ترميمه وتوسعته مرة أخرى في أيام الأمير السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل<sup>(٢)</sup> عقب انهياره على المصلين، والذي تسبب في هلاك بعضهم.

كما قام الوزير الساماني: أبو عُبيد الله بن الجيهاني<sup>(٣)</sup>، بإقامة المنارة الخاصة بهذا المسجد من ماله الخاص في مدة خمس سنوات، انتهى منها في سنة ٣٠٦ هـ /

=- مصر، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م، ص ٢٠٩؛ لقد قيل إن مسجد قتيبة في بُخَارَى كان على أبوابه صور مكشوفة الوجه، وقد ترك باقيها على حاله، حيث ذُكر إن سبب ذلك وجود سبعمائة قصر للأغنياء يقيمون بها خارج بُخَارَى، وكان هؤلاء لا يحضرون صلاة الجمعة في المسجد الجامع، بينما الفقراء كانوا يرغبون في الحضور حتى يحصلوا على الدرهمين اللذان يمنحهما قتيبة لمن يحضر الصلاة؛ لذا ذهب بعض المسلمين في يوم جمعة إلى قصور هؤلاء الأغنياء يدعوهم للصلاة، ولكنهم ضربوهم من فوق أسطح قصورهم؛ فدارت حرب بينهم؛ فاقتلع المسلمون أبواب القصور، وكان كل صاحب قصر قد نقش على بابه صورة الصنم الذي يعبد، فلمَّا اتسع المسجد استخدمت فيه هذه الأبواب بعد كشط صور وجوه الأصنام (النرخشي: تاريخ بُخَارَى، ص ٧٨).

(١) نعمة علي مرسي: طبقة الدهاقين في بُخَارَى، ص ٥٣.

(٢) الأمير نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني: الملقب بالسعيد، صاحب خُرَاسَانَ وما وراء النهر، مولده ووفاته ببُخَارَى، خلف أبيه بعد مقتله على العرش سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م، وكان صغير السن، وقد استمر في الحكم حتى ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م، عندما توفي على أثر مرض السل، وكان عمره في ذلك الوقت ثمانية وثلاثين عام (الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ٢١).

(٣) الوزير أبو عُبيد الله وقيل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الجيهاني: قام بتنظيم الدولة في عهد الأمير أحمد بن إسماعيل، ولمَّا توفي الأمير أحمد قام أهالي بُخَارَى بتنصيب ولده الأمير نصر - وكان حديث السن - على عرش السلطنة، فرغب سكان ما وراء النهر في تنصيب عم والده اسحق الساماني حاكم سَمَرْقَنْد، إلا أن أهل بُخَارَى وعلى رأسهم هذا الوزير ساندوا الأمير الصغير، وقد تكفل الوزير بإدارة مهام الحكم، واستمال الجيش، وسهر على راحة الرعية، وقد فاقت منزلته منزلة أجداده وأبائه (خواندمير: دستور الوزراء، ترجمة وتعليق

٩١٨م<sup>(١)</sup>، ثم جدد مسجد قتيبة في بُخَارَى للمرة الثالثة في عصر الدولة القره خانية على يد الملك: أرسلان خان محمد بن سليمان<sup>(٢)</sup>، الذي اشترى عدة بيوت وهدمها، ووسع بها المسجد، وذلك في ٥١٥هـ / ١١٢١م<sup>(٣)</sup>.

فضلاً عن بناء قتيبة عدة مساجد صغيرة داخل بُخَارَى نفسها بجانب مسجده الكبير هذا<sup>(٤)</sup>.

وليس هذا وحسب بل نجده أنشأ عدداً من المساجد الجامعة في المدن المجاورة لبُخَارَى، مثل: مدينة سَمَرْقَنْد، حيث بنى بها مسجداً جامعاً<sup>(٥)</sup>؛ لتصبح

حربي أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٩٨٠م، ص ٢١٣).

<sup>(١)</sup> النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٧٩ - ٨٠.

<sup>(٢)</sup> أرسلان خان: قام بنشر الإسلام في الجهات الشرقية، وانتهت حياته بالاستشهاد في سبيل الله، وخلف أرسلان خان على العرش أخاه قدر خان يوسف، وهو من القره خانية وهم: من الشعوب التُّركية التي سكنت توران قديماً، ويرجع تسميتهم إلى معنى الكلمة باللغة التُّركية، فقره: مأخوذة من عبداً زنجياً، وخان بمعنى: ملك، أي: الملك الأسود (النظامي العروضي السَمَرْقَنْدي: چهار مقال، وعليه خلاصة حواشي العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني، ترجمة من اللغة الفارسية إلى اللغة الإنجليزية إدوارد براون، ونقله إلى اللغة العربية عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - مصر، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م، ص ١٤٢؛ بارتولد: تُركِسْتَان من الفتح العربي، ص ٤٢١؛ نعمة علي مرسي: دولة القره خانيين الترك، ص ١٠ - ١٥؛

(Howorth, Henry H: The Northern Frontiers of China (Journal of Royal Asiatic society (London,1989), P. 473.

<sup>(٣)</sup> النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٨٠ - ٨١.

<sup>(٤)</sup> كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٥ - ٥٠٦؛ حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والتُّرك، ص ٢٠٩.

<sup>(٥)</sup> بدر الدين حي الصَّيني: العلاقات بين العرب والصَّين، ص ٢٥؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٨٠.

هذه المدن منارات إشعاع ثقافي إسلامي حتى عدّ كي لسترنج<sup>(١)</sup> سَمَرْقَنْدَ وِبُخَارَى قصبتي الصُّغْدُ، إلا أن الأولى عدها مركز الصُّغْدُ السياسي، بينما كانت بُخَارَى عاصمته الدينية.

هذا وقد تعدى بناء المساجد مدينة بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ؛ فانتشر في المدن الأخرى. فنجد قتيبة يأمر ببناء مسجدًا في منطقة الشَّاش، وأمر بأن يقيم فيه جماعة من المسلمين الوعاظ لتعليم مبادئ الدين الإسلامي، من أمثال: الفقيه الصَّحَّاحُ بن مُزَاحِم<sup>(٢)</sup>، صاحب التفسير<sup>(٣)</sup>.

كما أمر القائد: قتيبة بن مسلم بتشييد مسجدًا جامعًا في قرية أَفْشَنَةَ<sup>(٤)</sup>، وكذلك أقيم مسجدٌ جامعًا في قرية زَنْدَنَه<sup>(٥)</sup>، وهناك أيضًا مسجدٌ جامعٌ في بلدة فَرْبَرْ<sup>(٦)</sup> شيد كله من الآجر، ولم يستعمل في بنائه الخشب<sup>(٧)</sup>.

#### - معاملة قتيبة مع أهالي بُخَارَى بالحسنة:

من أهم ما يلفت النظر أن قتيبة تعامل مع أهل بُخَارَى بالحسنة، مما أسهم في جذبهم إلى صفه؛ وبالتالي إلى الدين الإسلامي؛ لكون اتباع سياسة الحسنة مع أهالي

(١) بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٢) الصَّحَّاحُ بن مُزَاحِم: هو من أهل بَلْخ يُكنى أبا القاسم ويقال أبو محمد، وأبو القاسم أصح، قيل في حقه خذوا التفسير عن أربعة سعيد بن جبیر، ومجاهد، وعكرمة، والصَّحَّاحُ بن مُزَاحِم (الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠١٠م، ج ٥، ص ١٤٩ - ١٥٠).

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٩٢.

(٤) أَفْشَنَةَ: من قُرَى بُخَارَى (البغدادي: مرآة الاطلاع، ج ١، ص ١٠١).

(٥) النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٣١.

(٦) فَرْبَرْ: بلدة من آخر الرابع على طرف جِيحُون مَمَّا يلي بُخَارَى، وهي المعبر من بلاد ما وراء النهر إلى خُرَّاسَانَ (ابن سباهي زاده: أوضح المسالك، ص ٤٩١).

(٧) بارتولد: تُركِسْتَانَ من الفتح العربي، ص ١٦٧.

البلاد المفتوحة من ضمن تعاليم الدين الإسلامي، فانتشار الإسلام لم يكن انتشارًا للعقيدة الإسلامية فحسب، أو مجرد صراع بين الإسلام والديانات المجوسية فقط<sup>(١)</sup>؛ بل انتشار ثقافي قبل كل شيء، وانتشار للغة العربية وثقافتها ذات الطابع الديني المعروف، ثم هو تنظيم سياسي معين للمسلمين في المشرق الإسلامي وذلك بأن يشترك هؤلاء الجدد في النشاط السياسي للدولة، فقد أتاح لأهالي بُخَارَى -في حالتنا هذه- حق المواطنة، ولأن العرب جلبوا معهم نظرياتهم في الضرائب، والملكية، وسبل الإنتاج الزراعي، وغيره من وجوه الإنتاج، ثم هو في الوقت ذاته تطور اجتماعي، فهو تغير في نظام الأسرة، وفي حياة المدينة، وفي التركيب الطبقي<sup>(٢)</sup>.

ومن عقود الصلح والأمان بين العرب وأهل بُخَارَى، فإن العرب الفاتحين كانوا يضعون نصب أعينهم الاهتمام بأهالي البلاد المفتوحة، ومعاملتهم معاملة تنطوي على الود والتسامح والمحافظة على ممتلكاتهم وأراضيهم الزراعية وحرية العقيدة، وذلك لكي يتقبلوا الدعوة إلى الدين الإسلامي، فقد سمحوا لهم بحرية

(١) بطروشفسكي: الإسلام في إيران منذ الهجرة حتى نهاية القرن التاسع الهجري، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه السباعي محمد السباعي، القاهرة- مصر، أبريل ٢٠٠٥م، ص ٩٠-٩١؛ نعمة علي مرسي: طبقة الدهاقين، ص ٤٥.

(٢) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتتري، ص ٣٥؛ سبق الإشارة إلى القول إن أولى محاولات القادة العرب الفاتحين لاستقرار العرب مع أهل بُخَارَى، هي: محاولة القائد عبيد الله بن زياد بن أبيه، الذي قام بأول خطوة للاستقرار والدمج بينها، وذلك عندما نقل عددًا من أهل بُخَارَى، لكي يستقروا في مدينة البصرة، وأفرد لهم حي فيها أطلق عليه اسم: حي البخارية أو سكة البخارية نسبة إليهم؛ وبذلك تم الدمج بين العرب في البصرة والبخاريين فتعارف كل عنصر من عناصرهم على تقاليد وعادات العنصر الآخر، مما كان له أكبر الأثر في ترحيبهم وولائهم للدين الإسلامي واعتناقهم له (محمد أحمد محمد بدوي: بُخَارَى في صدر الإسلام، ص ٨٦؛ نعمة علي مرسي: طبقة الدهاقين في بُخَارَى، ص ٤٥-٤٦).



امتلاك الأراضي الزراعية في مقابل ضريبة الخراج، إذ جاء العَرَب إلى المشرق ومنها بُخَارَى بمبادئ ملكية الأراضي الزراعية، وهو موقف إيجابي حضاري؛ لأن الحياة الملكية وهو استمرار الأراضي الزراعية في أيدي أصحابها في مقابل دفع الخراج المفروض على الأراضي، كان يعني القضاء على العبودية، التي سادت قبل الفتح؛ فحررت العديد من الفلاحين، الذين كانوا يعيشون عبيدًا للأرض، وليس لهم شيء فيها إلا العمل الشاق المتواصل؛ فكان هذا تطورًا اجتماعيًا بعيد المدى<sup>(١)</sup>؛ لذا أصبح الانتماء للإسلام يحمل في طياته محاولة للقضاء على مكنم التمرد على الحكم القديم، المتمثل في حكام بُخَارَى وطبقة الدهاقنة ملاك الأراضي الزراعية، الذين سيطروا على البلاد سياسيًا واقتصاديًا.

### - سياسة المؤاخاة مع أهل بُخَارَى:

اتبع قتيبة بن مسلم سياسة تسكين العَرَب في مساكن أهل بُخَارَى، وذلك عند عقد اتفاق الصلح، فقد اشترط عليهم أن يعطوا للعَرَب المسلمين نصف الدور والضِياع وعلف دواب العَرَب والحطب وما ينفق عليهم—وهي من السياسات التي قربت بينهم— حيث قسم قتيبة المَدِينَةَ إلى عدة محال، منها: محلة الوزير، أو محلة القصر، وهي التي أقام فيها أمير بُخَارَى من قِبَل العَرَب المُسَمَّى: الوزير ابن أيوب بن حسان، الذي خلف أبوه الوزير أيوب أول والي على بُخَارَى في الإسلام، كما قام قتيبة بتوزيع مدينة بُخَارَى على القبائل العَرَبية المصاحبة له في الفتح، فمن باب "العطارين" إلى باب "نون" أعطاه لربيعة ومضر، والباقي لأهل اليمن<sup>(٢)</sup>.

حرص قتيبة أن تكون بيوت العَرَب داخل بُخَارَى من جهة باب المجوس<sup>(٣)</sup>، وذلك حتى يطلع العَرَب على أفعال وأعمال هؤلاء المجوس، الذين

(١) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٨٤؛ بارتولد: تركستان، ص ٢٠١.

(٣) فامبري: تاريخ بُخَارَى، ص ٦٧.

كانوا كثيرًا ما يظهرون الإسلام، وهم في حقيقة الأمر على دياتهم القديمة؛ لذا كان أمر إسكان العرب بينهم عبارة عن عين عليهم، ومراقبة سلوكهم، خاصة الذين دخلوا في الإسلام ظاهرياً<sup>(١)</sup>، فضلاً عن عودة هذه الإقامة بالنفع على من أسلموا حقًا، إذ ساعدتهم على التفقه وتعلمهم مبادئ الدين بالاحتكاك المباشر مع المسلمين، وبذلك يكون هدف قتيبة الأول والأخير من إقامة العرب بين أهل بُخَارَى، هو جذب أهلها للدين الإسلامي؛ وبناء عليه فإن ذلك الرأي كان من الصواب بحيث صار العرب يطلعون على أحوال الأهالي، فظلوا بالتالي على إسلامهم، وشيئاً فشيئاً أظهر الكثير منهم إسلامه، والتزموا بالأحكام الشرعية، وأزالوا رسوم المجوس، وانضموا للجيوش العربية، لفتح المناطق المجاورة.

#### - استخدام قتيبة طريقة الترغيب لجذب الأهالي للإسلام:

من ضمن الطرق التي استخدمها قتيبة بن مسلم الباهلي لجذب الأهالي في بُخَارَى للدين الإسلامي، طريقة: الترغيب؛ إذ كان ينادي بين الفلاحين والفقراء بأن يجتمعوا كل يوم جمعة للصلاة، في مقابل إعطاء كل واحدٍ منهم درهمين، ولقد أضاف فامبري<sup>(٢)</sup> معلومة مفادها أن قتيبة صرح لأهل بُخَارَى لهم بقراءة القرآن الكريم في الصلاة بلغتهم اللغة الفارسية، وذلك تيسيراً عليهم - وإن كنت أعتقد أن المقصود هو قراءة معاني وتفسير القرآن بلغتهم؛ لأنهم لم يستطيعوا قراءته باللغة العربية، وهذا ما وجدته بعد فترة من عدم الاستساغة للقول بترجمة القرآن ذاته في تعليق بدر الدين حي الصيّني<sup>(٣)</sup> على هذا الشأن بقوله: "فجعلوا سكان بُخَارَى يفهمون معاني القرآن باللغة المترجمة إليها فهمًا تامًا، ولقد أفادت هذه الطريقة التي تعتبر من أحدث أساليب التبليغ في نشر الإسلام، وتقوية هذا الدين الحنيف؛"

(١) محمد أحمد محمد بديوي: بُخَارَى في صدر الإسلام، ص ٨٩.

(٢) تاريخ بُخَارَى، ص ٦٨.

(٣) العلاقات بين العرب والصّين، ص ٢٦ - ٢٧.

وبذلك نفهم إشارة النرشخي<sup>(١)</sup> في كتابه إلى أنه أثناء الصلاة كان عند الركوع يقف وراء أهل بُخَارَى رجلاً يصيح فيهم: "بكنيتنا نكينت"، وحين يريدون السجود كان يصيح فيهم: "نكوينا نكونى". فهي ترجمة للحركات المصاحبة لأداء الفريضة وليس آيات قرآنية.

هذا بالإضافة إلى إرسال الفقهاء والوعاظ إلى الأسر التي دخلت في الدين الإسلامي حديثاً؛ لكي يتم تعليمهم المبادئ الأولية والأحكام الشرعية مع تذليل الصعاب أمامهم، وإزالة الشكوك من قلوبهم، فبينوا لهم الأحكام الضرورية التي يحتاجون إليها في إقامة الصلاة وشعائر الدين، وبذلك صار علماء المسلمين يتخذون المساجد والجوامع في بُخَارَى مركزاً ثابتاً لنشر الدين وعلم الكتاب والسنة المحمدية، وكان لدى أهل بُخَارَى اعتقاد جازم بأن من يريد أذى بأصنامهم سوف يهلك، أو يقع به ضرر كبير، لذا عندما أحرق قتيبة الأصنام بيده، ولم يصبه هو أو المسلمين أي أذى أسلم منهم خلقاً كثيراً، وقد أشار أحد الشعراء ويُسمى: المختار بن كعب الجعفيّ إلى حرق قتيبة الأصنام في ذلك بقوله:

دَوَّخَ السُّغْدَ بِالقَبَائِلِ حَتَّى تَرَكَ السُّغْدَ بِالعَرَاءِ قُعوداً<sup>(٢)</sup>

والحق أن هذه السياسة المتساهمة، والمجهودات الكبيرة، التي بُذلت من قِبَل القائد قتيبة بن مسلم الباهلي والعرب، لجذب أهالي بُخَارَى للدخول في الدين الإسلامي، وترك عبادة المجوس توضح كذب وافتراء ما أشار إليه المستشرقون في مؤلفاتهم من اتهام العرب بالتعسف والعنف مع الأهالي لإجبارهم على اعتناق الإسلام، ومما يفند هذا الادعاء وجود عدد كبير من أهل المشرق الإسلامي في

(١) تاريخ بُخَارَى، ص ٧٨؛ هاتان العبارتان بلغة أهل بُخَارَى، ومفادهما طلب الركوع والسجود (الnrشخي: المصدر السابق، هامش ص ٧٨).

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٩٢-٥٩٣؛ بدر الدين حي الصيّبي: العلاقات بين العرب والصّين، ص ٢٥-٢٦.

النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ممن يتعاطفون مع الزرادشتية ويعتقونها<sup>(١)</sup>، فضلاً عن إشارة فامبري<sup>(٢)</sup> إلى أن الديانة الزرادشتية كانت الديانة الأصلية لسكان إيران وما حول بلخ، وأن تعاليم زرادشت كانت منتشرة فيما وراء النهر، وأن مقاومتهم لتعاليم الإسلام الداخلة على أهل المنطقة كان في الغالب عنيفاً مستميتاً.

وجدير بالذكر أن مجهودات قتيبة بن مسلم قد أتت ثمارها بدخول بعض أهل بُخَارَى في الدين الإسلامي، فكان ممن اعتنق الإسلام من الدهاقنة - وهم طبقة ملاك الأراضي الزراعية في بُخَارَى - الدهقان: "خينة" وقيل: "كدرخنيه" وقيل: "كدره خينه"، الذي تسمى باسم: "أحمد"، وكان من أغنى دهاقين بُخَارَى، وكان يمتلك محلة القصر كلها، وهي عبارة عن عدة قصور فخمة واسعة مشهورة في بُخَارَى، وكانت مكاناً لإقامة الأمراء والعظماء<sup>(٣)</sup>.

ومن أبرز المحاولات التي نجحت في إدخال الأمراء إلى الدين الإسلامي، محاولة دخول طغشادة بن بيدون في الإسلام على يد قتيبة بن مسلم، والذي كانت أمه السيدة الخاتون المتصدية الأولى للفتوحات الإسلامية منذ بدايتها؛ لذا قام قتيبة بتعيينه حاكماً على بُخَارَى بدلاً من وَرْدَان خُداة، وقد استمر حاكماً عليها قرابة ثلاثين عاماً، بل أطلق على طفله الصغير اسم: قتيبة تيمناً وحباً للقائد العربي الكبير<sup>(٤)</sup>، وهذه كانت سمة من سمات الحكم العربي للمناطق المفتوحة، وهي ترك أصحاب البلاد، وحكامها في إدارة بلادهم، طالما رأى القادة العرب المصلحة في ذلك وطالما اعتنقوا الإسلام، أو دفعوا الجزية المفروضة عليهم بانتظام.

(١) بطروشفسكي: الإسلام في إيران، ص ٩٠ - ٩١.

(٢) تاريخ بُخَارَى، ص ٥٠، ٦٨.

(٣) النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٨٤ - ٨٥.

(٤) فامبري: تاريخ بُخَارَى، ص ٤٠؛ محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٧٤.

ومن المؤكد أن أهل بُخَارَى لم يدخلوا في الدين الإسلامي دفعة واحدة؛ بل استغرق ذلك فترة طويلة.

وبذلك أحرز الفتح الإسلامي بقيادة قتبية بن مسلم الباهلي تقدماً كبيراً، ليس في استحواذ الأراضي والبلدان؛ بل بارتباطه بالنجاح في نشر الدين الإسلامي.

### رابعاً: النتائج المترتبة على إسلام أهل بُخَارَى:

لقد كان لسان أهل بُخَارَى بسبب ظهور العنصر التُّركي في بُخَارَى منذ القرن السادس الميلادي لساناً تُّركي بلهجة بُخَارِيَّة إلى جانب اللغة الفَارِسِيَّة، لكن الآداب والرسوم الفَارِسِيَّة ظلت غالبية في بُخَارَى قبيل الفتح العَرَبِي<sup>(١)</sup>، لذا وجدنا أن من أهم النتائج المترتبة على انتشار الإسلام في بُخَارَى على يد القائد قتبية بن مسلم الباهلي أن انتشرت اللغة العَرَبِيَّة في البِلَادِ شَيْئاً فَشِيئاً<sup>(٢)</sup> بين طبقات المجتمع البُخَارِي وأمرائه، كذلك استقرت القبائل العَرَبِيَّة في البِلَادِ بين سكانها، وبذلك تحول المجتمع البُخَارِي إلى مجتمع مسلم.

فأما عن اللغة العَرَبِيَّة، فهي لغة القرآن الكريم، الذي أنزل به على رسوله محمد ﷺ والتي صارت اللغة الرسمية في بُخَارَى بعد فتحها ونشر الدين الإسلامي بين ربوعها، فقد أخذ أهالي البِلَادِ في تعلمها شَيْئاً فَشِيئاً، بل صاروا لا يقلون شَيْئاً عن العَرَبِ في نظم الشعر بها، وذلك خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري/ القرن الثامن حتى القرن العاشر الميلادي، حيث كانت الحاجة إلى تعلمها بارزة؛ لأنها لغة القرآن الكريم، ولكي يقفوا على أمورهم الدينية وتاريخهم وحضارتهم<sup>(٣)</sup>؛ وبذلك صارت اللغة العَرَبِيَّة اللغة الرسمية في بُخَارَى

(١) محمد أحمد محمد بديوي: بُخَارَى في صدر الإسلام، ص ١٩.

(٢) من أهم الآثار المترتبة على الفتوحات الإسلامية في عصر بني أمية انتشار اللغة العَرَبِيَّة بين أهالي البِلَادِ المفتوحة، حتى صارت هي اللغة الرسمية بدلاً من اللغة الفَارِسِيَّة (بوربيوي

أحمدوف: العَرَب والإسلام، ص ٨٨).

(٣) نعمة علي مرسي: طبقة الدهاقين، ص ٥٤ - ٥٥.

بدلاً من اللغة الفارسية<sup>(١)</sup>؛ بل لا نستغرب أن استخدام اللغة العربية في الكتابة انتشر بين المناهضين للحكم العربي، والمقدسين للثقافة والحضارة الإيرانية<sup>(٢)</sup>، فقد صارت اللغة العربية اللغة المتداولة في الكتابة والإدارة والدواوين بدلاً من اللغة الفارسية<sup>(٣)</sup>، بينما يشير حسين مجيب المصري<sup>(٤)</sup> أن اللغة العربية لم تصير اللغة الرسمية في الإدارة في المنطقة الشرقية وخراسان إلا في عام ١٢٤ هـ / ٧٤٢م، وأن أكثر الكُتاب في خراسان كانوا من المجوس".

بينما ذهب عباس إقبال<sup>(٥)</sup> إلى القول إن اللغة العربية كانت شائعة في الوسط الثقافي الأعلى كلغة رسمية، بينما عامة الناس ينطقون باللغة الفارسية في تعاملاتهم اليومية، مشيراً إلى أن سكان إيران وخراسان وما وراء النهر لم يكفوا أبداً بالرغم من اعتناقهم الديانة الإسلامية عن التحدث باللغة الفارسية، وأنهم كانوا في سعي دائم للحفاظ عليها"، وذلك على عكس المستشرق بطروشفسكي<sup>(٦)</sup> الذي أشار إلى أهمية اللغة العربية في إيران، ومدى استيعاب الأهالي لها، مع تأكيده بأنها كانت اللغة السائدة والمسيطرة على الحركة الأدبية والثقافة.

(١) بوريوي أحمدوف: العرب والإسلام، ص ٨٨.

(٢) بطروشفسكي: الإسلام في إيران، ص ٨٨.

(٣) بوريوي أحمدوف: العرب والإسلام، ص ٨٨.

(٤) صلات بين العرب والفرس والتürk، ص ٨٠.

(٥) تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥ هـ / ٨٢٠م - ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥م، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه محمد علاء منصور، راجعه السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م، ص ١٠.

(٦) الإسلام في إيران، ص ٨٧-٨٨؛ يشير حسين مجيب المصري إلى سبب استيعاب الأهالي للدين الإسلامي لوجود تشابه بين الديانة الإسلامية والزرادشتية من ضمنها وجود الملائكة والشياطين والبعث والجنة والنار والصلوات في الديانتين (صلات بين العرب والفرس والتürk، ص ٤١).

وبذلك وجب على أهل بُخَارَى كما فعل جميع أهل المشرق تعلم اللغة العَرَبِيَّة؛ لأنها لغة العبادة والتفقه في الدين، وعليهم ضرورة أن يتعلموها لكي يقيموا الصلاة بها، وحتى لا يكون هناك لغة للحكام والأمرء، ولغة أخرى للشعب؛ لذلك انتشر الإسلام في بُخَارَى-مع الوقت- ومعه اللغة العَرَبِيَّة، وتفقه البُخَارِيِّين في كليتهما من أمثال: أبي حفص الكبير البُخَارِي<sup>(١)</sup> (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م)، الذي كان يقيم في محلة القصر ببُخَارَى. ورحل إلى بَعْدَاد عاصمة العباسيين<sup>(٢)</sup>، كذلك العالم الجليل في مجال الحديث النبوي الشريف الإمام: محمد بن إسماعيل البُخَارِي<sup>(٣)</sup>.

ومن أهم الكُتَاب الذين ألفوا باللغة العَرَبِيَّة من أهل بُخَارَى: النرشخي صاحب تاريخ بُخَارَى، إلا أن أصول الكتاب العَرَبِيَّة لم تصلنا بل وصلتنا الترجمة

(١) الإمام أبو حفص الكبير من مشاهير فقهاء بُخَارَى من تلاميذ الإمام محمد الشيباني، وقد شهد له بأنه كان من أقدرا تلاميذه، وكان معاصراً للإمام محمد بن إسماعيل البُخَارِي، وابنه أيضاً من المشاهير، ويُعرف بأبي حفص الصغير، ولد الإمام أبو حفص سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م، وتوفي ببُخَارَى سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م (الnrشخي: تاريخ بُخَارَى، هامش ص ٨٦).

(٢) النرشخي: المصدر السابق والصفحة.

(٣) النرشخي: نفسه والصفحة؛ الإمام: محمد بن إسماعيل البُخَارِي: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البُخَارِي، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب "الجامع الصحيح" المعروف "بصحيح البُخَارِي"، وله كذلك "التاريخ"، و"الضعفاء" في رجال الحديث، و"خلق أفعال العباد"، و"الأدب المفرد". ولد في بُخَارَى في ١٩٤هـ/ ٨١٠م، ونشأ يتيمًا، وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م، في طلب الحديث، فزار خُرَّاسَانَ والعِرَاقَ ومصر والشَّامَ، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق برواته، وهو أول من وضع في الإسلام كتابًا على هذا النحو. وأقام في بُخَارَى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خَرْتَنَك -من قُرَى سَمَرْقَنْد- فمات فيها سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها (الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ٣٤).

الفارسية له<sup>(١)</sup>، كذلك ممن قرض الشعر باللغة العربية، وبرع في ذلك: الدهقان علي الشطرنجي السمرقندي، الذي يُعد من مشاهير شعراء ما وراء النهر<sup>(٢)</sup>.

وبذلك فإن اللغة العربية انتشرت بصورة واضحة بين العامة والخاصة على السواء، ولم تكن لغة المثقفين فقط، بل لغة العامة في بخارى.

وجدير بالذكر أن القبائل العربية كانت تمثل حجر الزاوية في عمليات الفتح، ويكفي للتأمل النظر في الفترة التي مات بها يزيد بن معاوية ٦٤هـ / ٦٨٣م إذ اختلف المسلمون في خراسان، فرحل سلم عن خراسان، ونشب الخلاف الشديد بين القبائل العربية في خراسان، فأصبحت سيوفهم عليهم لا على أعدائهم، وبالتالي لم يتمكن العرب من فتح بخارى آنذاك<sup>(٣)</sup>.

ثم جاء قتيبة بن مسلم فعمل على استقرار القبائل العربية، خاصة القبائل العدنانية والمضرية والقحطانية، الذين قسم عليهم بعض أحياء بخارى<sup>(٤)</sup>.

فمن أهم بطون القبائل العدنانية التي شاركت في فتح بخارى، قبيلة ربيعة وهم: ربيعة بن نزار بن مضر، وتُعرف بريبعة الحمرا<sup>(٥)</sup>، ومن بطون ربيعة: بنو

(١) براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، تقديم محمد السعيد جمال الدين وأحمد حمدي الخولي وبديع محمد جمعة، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٥م، ج ٢، ص ١٣١-١٣٢؛ جدير بالذكر أن نسخة كتاب النرشخي الذي تم الاستعانة بها في هذه الورقة البحثية عنها عن الفارسية أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي (المؤرخ).

(٢) النظامي العروضي السمرقندي: جهاز مقاله، ص ١٢٦.

(٣) محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٨٦.

(٤) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٨٤.

(٥) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق وتعليق علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد- العراق، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م، ص ٢٤٤.



حبيب بن كعب بن ربيعة، الذين أقاموا في خُرَاسَانَ بأعداد قليلة، وانضموا إلى قتيبة في زحفه على بُخَارَى وبلاد ما وراء النهر<sup>(١)</sup>.

كذلك من بطون عدنان قبيلة بنو وائل الذين يرجعون إلى مضر بن مالك، ومنهم: قتيبة بن مسلم الباهلي نفسه، وهناك بنو وائل من بطن جعفي من القحطانية<sup>(٢)</sup>. وقد شارك بنو وائل في جيش بعدد من القوات يُقدر عددهم بحوالي: سبعة آلاف رجل<sup>(٣)</sup>.

أما عن القبائل المضرية التي اشتركت مع قتيبة في فتح بُخَارَى، فمنهم قبيلة: بنو سليم من قيس عيلان، ومن ولد سليم هُتَيْة - بهتة - ومنه جميع أولاده، ومنازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر<sup>(٤)</sup>، وذكر ابن حزم<sup>(٥)</sup> فروعهم وأنسابهم وعدد بيوتهم في مصنفه.

كما اشترك بنو ملكان من بطون مضر في جيش قتيبة بن مسلم، وهم ينتسبون إلى: ملكان بن عدي بن عبد مناة، ومنهم: "ذي الرمة" الشاعر المشهور<sup>(٦)</sup>، وهناك شخصية بارزة من بني ملكان، وهو: "عبد الله بن وألان العدوي" الذي أقامه

(١) ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب (٢)، القاهرة - مصر، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٢) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٤٠٤.

(٣) كانت قوات العرب بخُرَاسَانَ على عهد قتيبة كالاتي: بنو علي وقوامهم تسعة آلاف رجل، وبكر وأميرها هاشم بن المنذر وقوامها سبعة آلاف، وبنو تميم وقوامها عشرة آلاف، وعبد القيس وأميرها عبد الله بن جودان ومعه أربعة آلاف، ومعهم سبعة آلاف من الكوفيين، وبطن آخر من عبد القيس ومعه أربعة آلاف، فجميعهم بذلك واحد وأربعون ألفاً (فامبري: تاريخ بُخَارَى، هامش ٢، ص ٦٣).

(٤) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٥) جمهرة أنساب العرب، ج ١، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٦) القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٨٨.

قتيبة بن مسلم على تقسيم الغنائم بعد الانتصار على مدينة بَيْكَنْد؛ وأطلق عليه لقب: الأمين بن الأمين<sup>(١)</sup>.

أما من شارك قتيبة بن مسلم من القبائل القحطانية بني تميم فإن عددهم لا بأس به، ومن كان يُمثل اليمينية في فتح بُخَارَى مجموعة من قبيلة الأزد، بلغوا عشرة آلاف رجل عند مقتل قتيبة سنة ٩٦هـ / ٧١٥م<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا نستخلص أن قبيلة الأزد كانت لها دور كبير في فتح مدينة بُخَارَى، على الرغم من الصراعات الدائمة التي دارت بين المضرية والقحطانية، وتسببت في إفساح المجال للدعوات المناوئة للدولة الأمية، كدعوة: أبي مسلم الخُرَّاساني للأئمة العباسيين، ولكن في حقيقة الأمر فإن القائد قتيبة قد خصص لليمانية، خاصة قبيلة الأزد جزء من بُخَارَى لإقامتهم، "فقد أعطى لربيعة ومضر، والباقي لأهل اليمن"<sup>(٣)</sup>.

ونختم الحديث عن هذه النقطة بالتذكير على أن نجاح التوغل العربي في تُرْكِسْتَان كان يتوقف على اتحاد القبائل العربية في خُرَّاسَان من ناحية، ثم اتحاد القبائل العربية مع الموالي الفُرس من ناحية أخرى<sup>(٤)</sup>.

لننتقل منها إلى ثالث النتائج المترتبة على انتشار الإسلام على يد قتيبة بن مسلم الباهلي في بُخَارَى، وهي مساندة أهالي البلاد للفتوحات الإسلامية، والجهاد في سبيل الله، ونشر راية الإسلام على البلدان المجاورة، فقد اشتركت قوات كثيرة من أهل بُخَارَى وكَشَّ وِنَسَف وُخُوَارِزْم إلى جانب القوة العربية بقيادة قتيبة في فتح سَمَرْقَنْد والعديد من المدن، مع الوضع في الاعتبار أن عدد من هذه القوات

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ص ١٢٣٤.

(٢) الطبري: المصدر السابق، ص ١٢٦٥.

(٣) النرشخي: تاريخ بُخَارَى، ص ٨٤؛ للمزيد عن القبائل العربية وبطونها التي شاركت في فتح بخارى ينظر (محمد أحمد محمد بديوي: بُخَارَى في صدر الإسلام، ص ٩٠ - ٩٥).

(٤) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتُركي، ص ١٣٩.

المطوعة لم تكن على دين الإسلام، وهي سياسة ضمنت تطرق الإسلام إلى قلوب هؤلاء المطوعة بعد اختلاطهم بالعرب والتعاون معهم<sup>(١)</sup>.

ولعل هذا يدل دلالة واضحة على عدم صحة قول فامبري<sup>(٢)</sup> عندما زعم أن العرب بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي، كانوا يخافون من أهل بُخَارَى؛ لدرجة أنه ادعى بأنهم مكثوا سنين طويلة لا يجرؤون على الظهور بغير أسلحتهم، سواء في المسجد أو الأماكن العامة، وأن العرب لم يمنعوا حظر حمل السلاح على الأهالي حين يدخلون في الدين الإسلامي؛ خشية وقوع الصدام العنيف بين الطرفين، وهذا يُعد مبالغة فجأة من فامبري، فكيف يكون ذلك ومعظم المعارك التي قادها العرب الفاتحين ومن ضمنهم قتيبة لتلك البلاد سواء ما وراء النهر أو بُخَارَى كان النصر فيها للجانب العربي!!

ولا ننسى أنه لما رقت قلوب التُّرك للإسلام، انطلقوا من الضلال والباطل، وأصبح للحياة عندهم مفاهيم جديدة لم تخطر من قبل على بالهم، وأصبحوا المحاربين المدافعين عن الإسلام، ولازمتهم تلك الصفات إلى العصور التالية المتأخرة، غير أنهم لم يفخروا بذلك ولم يستكبروا، ولم يُعدوا أنفسهم للإسلام حماة؛ بل مجاهدين في سبيل الله، وتبين هذه الحقيقة بوضوح إذا تتبعناها إلى القرون التالية، فمنذ القرن الثالث الهجري خرجت مصائر الإسلام من يد العرب لتكون طوع يد التُّرك في شرق ووسط آسيا<sup>(٣)</sup>.

(١) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ١٤٦؛ محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، ص ٩١، ٩٨، ١٠١.

(٢) تاريخ بُخَارَى، ص ٦٨.

(٣) حسين مجيب المصري صلات بين العرب والفرس والتُّرك، ص ٢٠٨؛ ونقصد بهم السلاجقة والأتراك زمن العباسيين.

وخلاصة القول، إن حملات القائد قتيبة بن مسلم الباهلي في بلاد ما وراء  
النَّهر استغرقت عشرة أعوام، جاءت على مراحل متتابعة، ركزنا منها في هذه الورقة  
البحثية على المرحلة الزمنية التي تم فيها فتح بُخَارَى صلحًا في محاولته الرابعة سنة  
٧٠٨ هـ / ٧٠٨ م، وما استتبعها من جهود لنشر الإسلام والدعوة إلى سبيل الله،  
وإدخال العديد من أهل بُخَارَى في حيز الدعوة الإسلامية بالترغيب، وبذل الجهد،  
والعطايا للعناصر الفقيرة؛ حتى آت الثمار بعد مقتل قتيبة بأعوام عديدة.

## قائمة المصادر والمراجع

## أولاً: المصادر العربيّة:

١. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد أبو عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): "الكامل في التاريخ"، حققه واعتنى به عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ٢٠١٢م، ج ٣، ج ٤.
٢. ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م): "كتاب الفتوح"، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى، دار الأضواء، بيروت-لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج ٤، ج ٧.
٣. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): "مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع"، وهو مختصر. مُعْجَم البلدان لياقوت، ٣ أجزاء، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج ١، ج ٢، ج ٣.
٤. البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): "مُعْجَم ما استعْجَم في أسماء البلاد والمواضع"، حققه وضبطه مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، مطبعة عالم الكتب، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج ٤.
٥. البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): "فتوح البلدان"، تحقيق عبد الله أنيس الطّباع وعمر أنيس الطّباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٦. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م): "تيممة الدهر في محاسن أهل العصر"، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، المجلد الرابع.
٧. الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عدي (ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م): "الكامل في ضعفاء الرجال"، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، شارك في تحقيقه عبد الفتح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠١٠م، ج ٥.

٨. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م): "جمهرة أنساب العرب"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب (٢)، القاهرة- مصر، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٢.
٩. الحميري، محمد عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م): "الروض المعطار في خبر الأقطار مُعْجَم جغرافي"، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، ١٩٨٤م.
١٠. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م): "صورة الأرض"، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م.
١١. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م): "تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذو الشأن الأكبر"، ضبط المتن ووضح الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج ٣.
١٢. ابن سباهي زاده، محمد بن علي البروسوي (ت ٩٩٧هـ / ١٥٨٩م): "أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك"، تحقيق المهدي عيد الرواضية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
١٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م): "تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري"، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان- الأردن، الرياض- السعودية، د.ت.
١٤. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): "صُبْح الأَعْشَى"، تقديم فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (١٣٣)، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤م، ج ٤.
١٥. \_\_\_\_\_: "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب"، تحقيق وتعليق علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد- العراق، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.

١٦. المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت حوالي ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م):  
"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة-  
مصر، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

١٧. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/  
١٢٢٩م): "مُعْجَم البلدان"، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م،  
ج ١، ج ٢، ج ٣، ج ٤.

١٨. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م): "تاريخ  
اليعقوبي"، تحقيق عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى، شركة الأعلمي للطبوعات،  
بيروت- لبنان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ج ٢.

### ثانياً: المصادر الفارسية والمعربة عنها:

١- خواندمير، غياث الدين بن همام الدين (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٦م): "دستور الوزراء"، ترجمة  
وتعليق حربي أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٨٠م.

٢- الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١م): "زين  
الأخبار" ترجمة عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة،  
المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٦م.

٣- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م): "تاريخ  
أصبهان المعروف بذكر أخبار أصفهان"، تحقيق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى،  
دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ١.

٤- النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م): "تاريخ بُخَارَى"، عربيه عن  
الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه أمين عبد المجيد بدوي، ونصر- الله مبشّر-  
الطرازي، الطبعة الثالثة، سلسلة ذخائر العرب (٤٠)، دار المعارف، القاهرة-  
مصر، ١٩٩٣م.

٥- النظامي العروضي السمرقندي، أحمد بن عمر بن علي (ت بعد ٥٦٠هـ/١١٦٤م): "جهاز مقاله"، وعليه خلاصة حواشي العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني، ترجمة من اللغة الفارسية إلى اللغة الإنجليزية إدوارد براون، ونقله إلى اللغة العربية عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة- مصر، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

### ثالثاً: المراجع العربية الحديثة:

- ١- بدر الدين حي الصيّني: "العلاقات بين العرب والصّين"، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م.
- ٢- حسن أحمد محمود: "الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتّركي"، تقديم محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٧٢م.
- ٣- حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والتّرك دراسة تاريخية أدبية، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة- مصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- ٤- الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، مايو ٢٠٠٢م، ج ٢، ج ٣، ج ٤، ج ٥، ج ٦، ج ٨.
- ٥- الشفيح الهاحي أحمد: "زرادشت والزرادشتية"، مجلس النشر- العلمي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والعشرون، الرسالة ١٦٠، جامعة الكويت، الكويت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- ٦- محمد أحمد محمد بديوي: بُخَارَى في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ٧- محمود شيت خطاب: "فاعة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر"، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، دار الأندلس الخضراء، جدة- المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.



٨- نعمة علي مرسي: دولة القره خانيين الترك، دار الهداية للطباعة والنشر. والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٩٨٧م.

٩- -----: طبقة الدهاقين في بُخَارَى، مطبعة أبو هلال، المنيا- مصر، ١٩٩٥م.

#### رابعًا: المراجع العربية:

١- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش: "تُرْكِسْتَان من الفتح العَرَبِي إلى الغزو المغولي"، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢- براون، إدوارد جرانفيل: "تاريخ الأدب في إيران"، ج ١- ق ١: ترجمة إلى الفَارَسِيَّة علي باشا صالح، ترجمة إلى العَرَبِيَّة أحمد كمال الدين حلمي، تقديم محمد علاء الدين منصور؛ ج ٢: "تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي"، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، تقديم محمد السعيد جمال الدين وأحمد حمدي الخولي وبديع محمد جمعة، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٥م.

٣- بطروشفسكي، إيليا با ولويج: "الإسلام في إيران منذ الهجرة حتى نهاية القرن التاسع الهجري"، نقله عن الفَارَسِيَّة وقدم له وعلق عليه السباعي محمد السباعي، القاهرة- مصر، أبريل ٢٠٠٥م.

٤- بوريوي أحمدوف وزاهد الله منوروف: "العَرَب والإسلام في أوزبكستان تاريخ آسيا الوسطى من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم"، الطبعة الثانية، مراجعة نعمت الله ابراهيموف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م.

٥- عباس إقبال: "تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م- ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م"، نقله عن الفَارَسِيَّة وقدم له وعلق عليه محمد علاء منصور، راجعه السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- ٦- فامبري، أرمنيوس: تاريخ بُخَارَى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلق عليه أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، القاهرة- مصر، ١٩٨٧م.
- ٧- كي لسترنج: "بلدان الخلافة الشرقية"، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

### خامسًا: المراجع الأجنبية:

- 1- ANTHONY Ashley Bevan: the Naka'id of Jarir and Al-Farazdak edited, j.Brill publishers and printers Leiden 1908, vol III.
- 2- Howrth, Henry H: The Northern Front agers of China (Journal of Royal Asiatic society (London, 1989).
- 3- Gibb, sir Hamiton: The Arab Conquests in central Asia, (London, 1923).